الاكاديمية العربية الدولية
Arab International Academy
قسم علم النفس

الإنسان بين العاطفة والسلوك

أطروحة أعدت لنيل دكتوراه في علم النفس العام

الأستاذ المشرف: الدكتورة فاطمة فرحات
الأستاذ القارئ الأول: الدكتور جواد حجازي
الأستاذ القارئ الثاني: الدكتور حسن رضا
الطالب: ميادة سمير العريبي

العام الدراسي ٢٠٢٢ م – ١٤٤٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

بسم الله والحمد والشكر لله دائماً وأبداً

الذي بنعمه تتم الصالحات وبحوله وقوته

نُوفق للخير والصلاح، بتوفيق من الله تعالى

أكملتَ بحثي هذا وبإذنه سبحانه أهدي

ما حصدت في سنواتي من أجر الكدّ والتعب

لأمهات الشهداء المضحيات المربيات

اللواتي نتعلم منهنّ فنون التربية والإرشاد

أهدي تخرجي إلى أملي في الدنيا

وقرة عيني أولادي الأعزاء وإلى سندٍ لم يكن يكل أو يمل من دعمي هو زوجي العزيز....

وإلى كل من ساندني لا سيما مشرفتي

حضرة الدكتورة، وكل الأساتذة الكرام

الذين واكبونا واغدقوا علينا من علومهم خلال مسرتي العلمية

أهديهم أجر هذا العمل المتواضع ولهم مني جميعاً كل التحايا والحب

شكر وتقدير

اللهم لك الحمد دائماً وابداً

أشكرك ربي على نعمك التي لا تعدّ، وآلائك التي لا تحدّ، وأحمدك على أن يسـ رت لي إتمام هذا البحث وعلى الوجه الذي ترضى به عنّي

ثم أتوجه بالشكر إلى من رعاني طالباً في برنامج الماجستير ومعدّا لهذا البحث أستاذتي ومشرفتي الفاضلة الأستاذة الدكتورة فاطمة فرحات التي لها الفضل بعد الله تعا لى، مذ كان البحث عنواناً إلى أن صار رسالةً وبحثاً.

فلها منّي الشكر كلّه والتقدير والعرفان.

وأتوجه بالشكر الجزيل إلى جميع الأساتذة الكرام وإلى كل العاملين في الجامعة وصرحها المبارك أشكركم جميعاً وأشكر عائلتي وأصدقائي وأسرتي أبنائي وزوجي... وكل الذين أحاطوني بعطفهم ودعمهم.

فإن قلت شكراً فشكري لن يوفيكم حقكّم حقاً سعيتم فكان السعي مشكوراً وإن جف حبري عن التعبير إلاّ أن قلبي يفيض باحترامكم وعطفكم لكل ما قدمتم لي.

فما أجمل أن يكون الإنسان شعلة نور تنير دروب الحائرين والمربين....

فهرس المحتويات:

الإهداء ..... **د**
شكر وتقدير ..... **هـ**
الإشارات القرآنية للإرشاد التربوي **١**
الفصل الأول **٨**
تمهيد ٩
وظيفة القرآن الإرشادية ١٠
الحاجة الإنسانية للإرشاد ١٣
استشعار عظمة الله ١٤
أهمية الروح والصورة في الإرشاد ١٦
نماذج للدراسات والإشارات (أنموذج القصص القرآنية الهادفة) ١٨
الإرشاد والتربية بالأثر ١٩
منهج التربية بالقصص القرآني ٢١
خصائص القصص القرآني ٢٢
علاقة النفس بالتربية ٢٥
القيم الأخلاقية في القصص القرآني ٢٦
أسلوب الدعوة في الإرشاد ٢٨
القيم هي جوهر الكينونة الإنسانية ٢٩
خاتمة الفصل **٣١**
الفصل الثاني : الإرشاد التربوي والنفسي **٣٢**
تمهيد ٣٣
قوى النفس والوصول للمعقولات ٣٤
إشراق النفس وتدخل العقل ٣٧
وسطية الفضائل في قوى النفس ٣٨
دور الأسرة في الإرشاد النفسي والسلوكي ٤٠
اقتران التربية بالتوعية والمراقبة ٤٢
الاعتدال في التربية ٤٦
التربية الواقعية المسؤولة ٤٧
المعوقات التي تواجه المرشدين والمربين ٤٩

التواصل مع المتربين وإشعارهم بالتقدير والاحترام ٥١
خاتمة الفصل **٥٢**
الفصل الثالث: الإرشاد القرآني وأهميته في العملية التربوية **٥٣**
تمهيد ٥٤
مصطلح الإرشاد النفسي والتربوي ٥٥
الإرشاد القرآني وأهميته في العملية التربوية ٥٦
أهداف الإرشاد النفسي والتربوي في القرآن ٥٨
المحافظة على صحة الفرد النفسية من خلال بعده عن التهديد والخوف ٥٩
الحلول القرآنية للمشكلات الشخصية والاجتماعية ٦٠
توجيه النمو وإزالة المعوقات ٦١
طرائق التربية القرآنية ٦٢
آفة التكبر وعلاجها ٦٤
اقتران العزة بالإيمان ٦٥
تعديل السلوك وتغيير العادات ٦٦
التوجيه النفسي في مواجهة الصعوبات البيئية ٦٧
الإشارات القرآنية إلى فهم البيئة التربوية ٦٨
مجالات الإرشاد النفسي ٦٩
الإرشاد الأسري ٧٢
الإرشاد النفسي وأساليبه في القرآن ٧٣
العبادات قاعدة إرشادية نفسية ٧٥
مقارنة بين التوبة والتحليل النفسي ٨١
أساليب الإرشاد النفسي والتربوي الميدانية والعملية المتبعة ٨١
خاتمة **٨٣**
مصادر ومراجع ٨٧

الإشارات القرآنية للإرشاد التربوي:

دراسة حول وصايا لقمان الحكيم الإرشادية:

وصايا لقمان الحكيم التربوية والخطاب الأنيق والرحيم الّذي توجه به لإبنه وهو يعظه عاملاً بمنهج الإصلاح والفلاح مرشداً ومربياً ، وبما أن التربية تتناول إحياء النفوس وتصلح مجتمعاً بأكمله يتوجب على المربي التحلّي بالحكمة والموعظة الحسنة. فقد تميزت شخصية لقمان الحكيم بالتفكر ومحبة الخالق وحسن الظن بالله تعالى، كل هذا صنع من لقمان إنساناً حكيماً.

ويمكن تحديد القيمة التحكيمية والحكمية لوصايا لقمان الحكيم:

أولاً: كونها تستّند إلى نص قطعي الصدور ذو مدلول يقيني، وهو كتاب الله الحكيم العليم الذي خلق الإنسان وهو أعلم بمصلحته وبمفاتيح تكامله.

ثانياً : أن لقمان الحكيم تميز بشخصية واعية حكيمة متزنة مرنة تربوية، وكانت وصاياه لابنه وصايا عامة وخاصة، فهي مناسبة لكل مربي يريد أن يقتضي بما يناسب التربية المسؤولة لكل زمان ومكان. فنراه تارة يعظّه عن علاقة الإنسان بخالقه وتارة عن علاقة الإنسان بوالديه ومنشأ و وجوده، وتارة يعظه بالنهي عن ظلم النّاس.

وقد تطر ق لصفات شخصية نموذجية راقية جداً ومكلّلة بوجوب العبر كي يستطيع تنفيذها والسير عليها ليكون أنموذجاً للإنسان الكامل والصالح.

١- **القيمة المعرفية لهذا البحث:** تكمن في تناول وصايا لقمان الحكيم لكل جوانب التربية النفسية من الناحية الشخصية ثم الناحية العبادية، يليها الناحية التطبيقية والأسرية والعائلية والاجتماعية.

فعندما بدأ بوصيته استهلها بتأسيس علاقة متينة بين الإنسان والخالق ثم فصل له سلبيات الشرك بالله.

ثم تدّرج إلى علاقة الإنسان بوالديه (أي الدائرة الصغرى). وحثّه على مراقبة الله الدائمة وإحاطته بالإنسان وتجلى ذلك في أكثر الأمور العبادية وبخاصة التي تقترن بالتطبيق التربوي العلمي، مثال: التواضع، خفض الصوت وطريقة المشي، وغير ذلك من السلوكيات التربوية التي تجعل الإنسان يعيش حالة المصالحة مع ذاته ومع مجتمعه وبالتالي يكون في مأمن لأن ضميره مرتاح بعيداً عن التوتر النفسي والضياع لأنه سار على خريطة تربوية متسلسلة هادفة وموصلة.

فالقرآن الكريم يختزن كل الإشارات والإيحاءات والمضامين التي تهدف إلى الهداية وتقويم حركة الإنسان ﴿**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ**﴾[1].

وفي الكثير من الآيات أراد الله سبحانه التأكيد على مسألة النفس وما لها من مقامات كمال وأن لها هيئات...

من هنا حاولنا في بحثنا هذا أن نتعرض لما ورد في الآيات من إشارات تربوية، والبحث عن حلول علمية وعملية للمشاكل التربوية عن طريق الاسترشاد والاهتداء بقوله تعالى كقواعد للمربين وتأسيس لمبادئ وأصول تربوية.

ولأجل هذه الغاية وهذا الهدف اخترنا هذا العنوان محاولين بيان وظيفة القرآن الإرشادية من خلال الدلالات التي يؤكدها القرآن في قصص الأنبياء وأحوالهم وأخبار السابقين ومنها وصايا لقمان الحكيم لولده....

ولتفعيل القيم الأخلاقية لا بد لنا من العمل أولاً على مستوى إصلاح النفس، وهذا لا يكون إلاّ عبر مربي أو مرشد، لأن دور المربي تجاه المتربي حساس جداً ويجب أن يتصف بالمرونة والمحبة كي ينجح في إيصال ما يريد من أفكار ووصايا وتوجيه.

فالخطاب الأولي موجه من العالي إلى الداني أي من المرشد (الله) إلى المسترشد (الإنسان) وهو كلام قطعي الصدور ويفي بالغرض ويراعي كل مراحل النفس وما يمر عليها من نكبات.

لهذا كانت العملية الإرشادية تنطلق أولاً من الخالق إلى المخلوق ثم من الأنبياء والرسل إلى خليفة الله من ثم للمسؤول عن المتربي بكل ما له من مسؤوليات ومواقع (أب– أم – معلم – مرشد – عالم...).

---

[1]- سورة الإسراء، الآية ٩.

الغاية من البحث:

كتاب الله العزيز كتاب قطعي الصدور هادف يصنع الإنسانية في كل الأزمنة، وطبيعته القصصية إرشادية هادفة وتوجيهية. فعندما يحيط الإنسان بهذا الكم من التوجيه التربوي والقصص الهادفة كما في وصايا لقمان أو قصة يوسف (ع) أو غيره من الأنبياء.. كل هذا لا بد من أن يترك أثراً عميقاً ويسهم في تغيير سلوك الفرد نحو الأفضل فيتعدل السلوك، وخاصة أن هناك مسلّمة تربوية: **(بأن العمل على الأفكار يغير المشاعر والمشاعر تغير السلوك)**.

وتأكيد قرآني بقوله تعالى: **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ﴾**[1].

فاستنطاق القرآن الكريم يبين لنا كيفَ كان يَعيش الإنسان في حالة غفلة، وكيف يستيقظ عند تحليله لهذه القصص الهادفة والمرشدة، ولأن القرآن لم يترك قضية إلاّ وعالجها؛ إن على المستوى التعليمي أو التربوي أو الأسري أو المعنوي، حتى في موضوع العواقب والعقوبات والثواب كل هذا تناوله القرآن الكريم بالمعالجة الدقيقة وبيان العلّل في تأسيس الرؤى والأفكار والأحكام، فجعل من القصاص حياة، وجعل من الرحمة مسامحة ومن العفو طريقاً للكمال والأجر، ومن الصبر رسم طريقاً للوصول، ثم جعل من التوبة حياة جديدة وبدايات لكل خاطئ يحاول الإصلاح. كل هذا إن دل إنما يدّل على كتاب راقٍ يشرع بالحكمة ويراعي كل النماذج مع حل لجميع المعضلات.

سبب اختيار البحث:

يعش المجتمع الإنساني في أكثر من موقع حالة من التشتت والتفرد والتفكك الأسري والاجتماعي، والابتعاد عن القيم التي تصوغ شكل العلاقات الإيمانية الاجتماعية (الأسرة–المجتمع) لهذا كان اختيار هذا البحث لأجل الحاجة إليه ولأجل تخلي الأهل عن دورهم الأسري.

بالدرجة الأولى هو العمل على تحريك المجتمع وإيقاظه من سباته المعرفي والثقافي وخاصة أن المجتمعات تعاني من استسلام الإنسان والمجتمع من خلال اليتم المعنوي ويتمثّل ذلك بتخلي الأهل عن أدوارهم. فوصايا لقمان الحكيم نموذجاً وإرشادات القرآن الكريم إنما هي دستور كامل ينطق عن لسان عزيز حكيم لا ينطق عن الهوى فمثال مريم (ع) وكيف جاهدت لأجل وليدها، ولم تتخلى عنه رغم كل الصعاب، وهذا ما يمكن مقارنته بمواقف بعض الأمهات اللواتي يتخلين عن أبنائهن ويتحررن من دورهن الطبيعي وهو الأمومة والتي تعني الرعاية والتربية والتنشئة الكاملة للأبناء. (إحاطته من كل الجوانب النفسية والاجتماعية والجسدية والحياتية).

---

[1]- سورة يوسف، الآية ١١١.

وتحرك وصايا لقمان النفوس و ما ركد فيها من قيم وأعراف بالية، وتحرك الإنسان نحو سلوك منهج الهداية تجاه أبناء ومن هم تحت سلطته، وكيف يساهم هذا الركود في تدمير مجتمع بات يخلو من قيم ومن مسؤول جدي عن الحال السيء الذي وصل إليه. لهذا استصرختني نفسي أن أكتب بحثاً يكون سبباً لإيقاظ ضمائر آباء وأمهات تخلّوا عن أدوارهم في التربية ووصلوا هم وأبناءهم إلى شفير الهاوية ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾[1]، هذه الآية خير دليل على وجوب تحمل المسؤولية وعدم الاستسلام لواقع مرير مهما قست الظروف المحيطة. إن دور الأب والأم الإرشادي والتربوي هو من أوجب الواجبات على الأهل تجاه الأبناء في كل ميادين حياتهم وانطلاقاتهم.

إشكالية البحث:

كيف يمكن لـلعاطفة أن تعدل سلوكاً؟

الفرضيات:

أ. يهدف القرآن الكريم إلى تصويب حركة الإنسان ومواكبته في سيره التكاملي وسلوكه من خلال مخزون معرفي إرشادي نفسي.

ب. الشخصية الإنسانية لا تتقوم إلاّ بالإرشاد والتربية من خلال معايير يحدّد قيمتها الإرشادية القرآن الكريم وسيرة الأنبياء والصالحين لأنهم قدوة ثابتة.

ج. القرآن الكريم وجه عبر القصص أساليباً للوعظ والإرشاد والتوجيه، بهدف إقامة الحجة على الإنسان وإيجاد معيار يحدد صوابية العمل الإرشادي، فمن وصايا لقمان الحكيم في عالم التربية النفسية والسلوكية نستفيد.

د. اللغة العاطفية ساهمت في تعديل سلوك المجموعة.

الأسئلة:

١- كيف نستدل على الإشارة القرآنية للإرشاد والتربية النفسية؟

٢- هل أن موضوع التربية ملزم لكل أب وأم؟ ولماذا استدلينا بتواصل لقمان الحكيم مع ابنه؟

٣- ما هي بالتحديد مسؤولية المربين وخاصة الأهل؟

٤- ما هو الفرق بين التربية والرعاية؟

---

[1]- سورة الصافات، الآية ٣٧.

٥- ما هي الصفات التي يجب أن يتحلى بها المربي؟ وآلية التربية؟ وكيفية تطبيقها؟ وآداب التربية وأصولها؟

٦- كيف يكون السير التكاملي للمربي على ضوء التربية اللقمانية القرآنية بلغة عاطفية؟

دراسات سابقة:

الإرشاد والتوجيه والتربية من الموضوعات التي بثت في كافة الحقول العلمية والمعرفية وكتب فيها الكثير ومن الدارسات التي تناولت مسألة الإرشاد والتربية على ضوء القرآن.

١- **الدراسة الأولى:** أحمد بن محمد يعقوب بن مسكويه ولقب (بالعمل الثالث) تناول في كتابه **(تهذيب الأخلاق)** وهو من أهم الكتب في فلسفة الأخلاق الإسلامية وفيه الكثير من المعارف والذي طبع بتاريخ ١٩٩٧ دار مكتبة الحياة. وغرضه الأول كان في التهذيب للسلوك والخلق وخاصة في مقالاته الثالثة والرابعة والخامسة، وإذا دققنا النظر في عنوانه نجده يخبر عن معادلة أحد طرفيها إيجابي والآخر سلبي، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق معالجاً الأمرين.

٢- **الدراسة الثانية:** المولى محمد مهدي النراقي في كتابه جامع السعادات والذي طبع بتاريخ ١٤٢٨ هـ وهو جزئين تناول في الباب الأول: تأثير التربية على الأخلاق، وفي الباب الثالث طريق حفظ اعتدال الأخلاق المحمودة واستحصالها بإزالة نقائضها المذمومة، فعالج بذلك كيفية تهذيب النفس، وكيف تصل لكمالها عبر الجهاد والمجاهدة والمراقبة؟ إلى جانب ذلك فصل في الأخلاق النظرية والتطبيقية.

٣- **الدراسة الثالثة:** وهي للطالبة هيفاء فياض فورس وهي دراسة في الأصل التشريعي للتربية الإسلامية وأثره في العملية التربوية والتي طبقت بتاريخ ٢٠١١/٧/٢٦ م جامعة اليرموك إربد الأردن، وقد تناولت في بحثها في المطلب الثالث أهمية أصول التربية الإسلامية، وفي المبحث الثاني الأصل التشريعي للتربية الإسلامية.

٤- **الدراسة الرابعة:** عبد الكريم بكار في كتابه القواعد العشر أهم القواعد في تربية الأبناء والذي طبع سنة ٢٠١١م. وقد تناول في القاعدة الثالثة أهمية اشتراك الأبوين في التربية وانعكاس ذلك على سلوك الأبناء وأداءهم العلمي المتميز.

كما تناول في القاعدة الخامسة اختلاف الخطاب للأبناء في طور المراهقة حيث أنه يحتاج للحذر والوضوح لأن الحساسية تصبح مفرطة لدى الأبناء.

هذه الدراسات هامة جداً بما تضمنته من مفاهيم تربوية وأنظمة عديدة ودراسة المناهج المستخدمة في العملية التربوية وما يمكن أن يستفاد من هذه المناهج، إلاّ أن هذه الدراسة سوف تتناول بيان الأصول الأخلاقية في معالجة المشاكل التربوية وخاصة آلية التعامل بين الأهل

والأبناء، وآلية مجاهدة النفس كي يكون المتربي قابل للتلقي أكثر، حيث أن فاقد الشيء لا يعطيه، لهذا على المربي أن يجاهد نفسه كي يستطيع إلى أن يكون قدوة للمتربي، وكل هذا سيكون له منهجاً في هذا البحث.

منهجية البحث:

نمط الدراسة الاستكشافي التربوي يفرض السير وفق خطوات استدلالية تحليلية، لهذا اعتمدت المنهج الاستدلالي التحليلي في بيان الأصول والقواعد الأخلاقية التربوية من خلال كتاب الله الكريم اعتماداً على منهج لقمان وحكمته في تقويم السلوك الإنساني، وبعد التجربة على عينة تم اختيارها في درستنا البحثية من خلال استخدام أداة مجموعة النقاش المرتكزة Focus group حيث قسمنا A, B باختيار عشوائي من بيئات مختلفة وقمنا بعرض موضوع اسري نفسي وتم قياس التفاعل من خلال اسئلة طرحت على المجموعتين بطريقتين مختلفتين الأولى عاطفية لينة والثانية حازمة وقاسية.

المنهج الاستدلالي:

هو ذلك المنهج الّذي يتناول دراسة المسائل النظرية والفلسفية بهدف التوصل إلى حقائق معرفية وقواعد عامة. ويتكون النّظام الاستدلالي من مجموعة من المبادئ والنّظريات حيث تمثل تلك المبادئ مجموع القضايا والتطورات الأولية.

المنهج التحليلي:

وهو المنهج الذي يتم من خلاله دراسة الإشكالات العلمية المختلفة، وذلك من خلال عدة طرق كالتقويم والتفكيك، ويعدّ هذا المنهج ملائماً للعلوم الشرعية والعلوم الإرشادية.

محتويات البحث:

ولقد تطرقنا في بحثنا إلى عدة عناوين حاولنا من خلالها قدر المستطاع أن نحيط بعالم الإرشاد ولو بطريقة مختصرة إنما شاملة نوعاً ما...

ولأجل تحقيق هذه الغاية رسمنا خريطة تربوية من خلالها ومن خلال تلك العناوين إن شاء الله نكون قد أوصلنا ما نريد من معلومات.

حيث أننا تناولنا في الفصل الأول (عن القرآن ووظيفته لتقويم النفس ولتصويب حركة الإنسان منذ البداية وحتى النهاية)...

ثم في الفصل الثاني حاولنا بيان كيفية وصول النفس للمعقولات عن طريق وصايا قرآنية وعن طريق أساليب تربوية وتجارب واقعية وحلول علمية.

ثم في الفصل الثالث تناولنا موضوع الإرشاد وأهميته ونشأته ودخلنا في تأهيل عملية الإرشاد من خلال آيات كريمة من القرآن الكريم تدل على الإرشاد الإنشائي والنفسي ثم مررنا على طرائق تربوية وتبين أن الإرشاد وظيفة إلهية رسالية بالدرجة الأولى ثم تدرج ليصبح مهام للرسل ثم لكل مسؤول عن تربية وتقويم لسلوك إنساني.

وقد قسمنا البحث إلى ثلاثة فصول وكل فصل إلى ثلاثة مباحث:

فعنوان الفصل الأول تمحور حول: القرآن والإشارات والدلالات القرآنية، وتناولنا في العناوين ما يلي:

١- وظيفة القرآن الإرشادية والنفسية.

٢- نماذج للدراسات والإشارات (أنموذج القصص القرآنية الهادفة) التي تعدل السلوك النفسي بلطف ومرونة.

٣- ما هي علاقة النفس بالتربية والأخلاق القرآنية.

ثم عنوان الفصل الثاني: الإرشاد التربوي والنفسي، وتناولنا في العناوين ما يلي:

١- قوة النفس والوصول للمعقولات.

٢- خطاب لقمان لابنه (مليء باللطف والتفهم لمرحلته العمرية).

٣- الاعتدال في عالم التربية.

ثم عنوان الفصل الثالث: وهو الإرشاد القرآني وأهميته في العملية التربوية وتناولنا في العناوين ما يلي:

١- التأهيل القرآني لعملية الإرشاد التربوي والنفسي.

٢- طرائق التربية القرآنية النفسية.

٣- الإرشاد والتوجيه وظيفة إلهية رسالية.

٤- لغة العاطفة وتأثيرها على السلوك.

الفصل الأول

القرآن والإشارات والدلالات القرآنية

١- المبحث الأول: وظيفة القرآن الإرشادية.

٢- المبحث الثاني: نماذج للدراسات والإشارات (أنموذج القصص القرآنية الهادفة) التي تغير السلوك دون أذية النفس (فصل السلوك عن الفاعل).

٣- المبحث الثالث: ما هي علاقة النفس بالتربية والأخلاق القرآنية (مدى القياس والتأثر).

- تمهيد الفصل الأول:

إن بناء الشخصية مرتبط ببناء التفكير، وبناء التفكير مرتبط ببناء الفرد في الأسرة من هنا يجب على الأهل المربين لهذا الإنسان المسؤولين عن تأسيس حياته النفسية والجسدية والإنسانية، أن يكونوا واعين مثقفين ثقافة عامة مجتمعية وثقافة تربوية مع مراعاة الفروقات الفردية والتمييز بين فرد وآخر من ناحية القُدرات.

وهكذا فإن الأسرة لها تأثير كبير في بناء الفكر عند أبنائها بل أن للوالدين أثراً فكرياً على الفرد قد يستمر معه إلى الأبد، ذلك أن الابن بطبيعته يقلّد ويقتدي بهم، من هنا كانت الآيات واضحة في هذا المجال ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ**[1] ﴾.

إن كلمَة حسبنا في الآية لها دلالة بليغة على أن سبب اتباع الأبناء لأهلهم يعود لثقافة وزرع أفكار[2] . وهذه التغذية الفكرية تصنع فكر الإنسان وتؤثّر عليه وعلى المجتمع سلباً أو إيجاباً.

لهذا بنينا بحثنا على وظيفة القرآن الموجِهة للإنسان وانتقينا أنموذج لقمان الحكيم التربوي والأبوي بكل معانيه ومضامينه.

---

[1]- سورة المائدة، الآية ١٠٤.

[2]- المدرسي محمد تقي، المنطق الإسلامي، الناشر دار البيان العربي بيروت، لبنان، ط٣، د.ت، ص٢١٥-٢١٦. المصدر بحث من شبكة الفكر، تاريخ إضافة الكتاب ١٠-٢-٢٠١٨، تاريخ زيارة الموقع ٢٠-٥-٢٠١٩.

- المبحث الأول:

- وظيفة القرآن الإرشادية:

لا شك أن للقرآن دور أساسي في توجيه وإرشاد المربين، وفي تأسيس منظومة تربوية ذات أصول قطعية الصدور منها تنطلق مباني التربية وعليها تبنى النظريات النفسية والدراسات الإرشادية التربوية، لهذا نجد أن رسالة لقمان الحكيم لإبنه وهو يعظه أنها عامة من حيث المضمون والإرشادات، وهي لم تختص بزمن معين ولم تكن معالجة لحالة فردية آنية بل تصلح لأن تكون مؤشرة ودليل لكل مربي ناجح خاصة أنها من كتاب عظيم عام وشامل لكل الأزمان ومعصوم عن الخطأ (كتاب حكيم وموعظة حكيمة).

كان لقمان الحكيم يوصي ابنه بتعلّم الحكمة: «يا بني تعلّم الحكمة فإنها تدل على الدين وتشرف العبد وتقدم الصغير على الكبير بحكمته وكيف يظن ابن آدم أن يتهيأ له أمر دينه ومعيشته بغير حكمة...»[1].

ولهذا فلا عجب أن يتخرج الحكماء من بيوت العلم والحكمة لأنهم تربوا عليها وعلى السلوك العلمي والعملي أي تلّقوا تربية عملية واقتدوا بالأعمال والسلوك لأن التربية الصامتة لها مداليل وتربي بصمت عبر التقليد وموجهة دون الحاجة إلى التكرار وهذا ما نسميه التربية بالأثر أن يقتفي الإنسان أثر والديه ويتبع خطواتهم التوجيهية بوحي ودراية وليس عن تقليد عبثي بل يتربى بموضوعية ويتأكد أن من يربيه يطبق أولاً على نفسه قبل غيره.

تهدف الدراسة إلى التعرف على طبيعة العلاقة بين الخالق والمخلوق، وعلى طبيعة الإنسان، وطبيعة الكون والحياة.

وطبيعة المعرفة في القرآن الكريم.. والتعرف على التطبيقات التربوية لفلسفة التربية في القرآن الكريم.

واعتمدت دراستي على المنهج الاستنباطي، لارتباطها بالمصادر الشرعية واستخراج جوانب فلسفة التربية وما يتصل بذلك من تطبيقات وأساليب تربوية وتعليمية... للتربية في القرآن أهدافاً متنوعة إيمانية – عقلية – فكرية – نفسية – جسدية واجتماعية وأخلاقية.

والرجوع إلى القرآن الكريم كمشرع تربوي قطعي الصدور يبين المنهج الإسلامي ومنافعه من المنبع الأساسي ويؤصل العملية التربوية لأنه القاعدة الأساسية الأولى التي ينبغي أن تقوم عليها المؤسسات التربوية في تحديد سياستها وأهدافها ووسائلها وطرق تقويمها، لأنها تقوم حينئذ بتحويل الجانب العلمي إلى جانب تطبيقي في التربية وتقترح الخطط والحلول والأفكار في المجال التربوي.

---

[1] - الخصال، ١٢١/١، ج ١١٣، حديث حماد بن عيسى عن الإمام الصادق (ع).

تطبيقات هذه النماذج تتحقق في المؤسسات التربوية التي تقدم البحوث التأصيلية للقيام بدورها المنوط بها نحو تأصيل تربوي شامل لبناء المسلم المتكامل بناء شاملاً متوازناً.

وفلسفة التربية القرآنية تجمع بين النشاط الفكري والسلوكي المنظّم الذي ينظم عملية التربية حيث أن الفرد قبل التنفيذ السلوكي يفكر ويخطط، إذ الفكر هو الدافع الأول للسلوك والفعل.

وبما أن القرآن الكريم الذي أنزله الله بلسانٍ عربي مبين وجعله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة للناس جميعاً، وجعله تبياناً وتفصيلاً لكل شيء فقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ**﴾[1].

وهو حبل الله المتين، وصراطه المستقيم ونوره الهادي وجامعية القرآن لكل شيء ترشد إليها الثنائيات التي تتميز بها آياته كما في ثنائية السموات والأرض الآخرة والأولى، وبين الدين والدنيا، وبين القول والعمل وهذا البيان يعتبر حجة صالحة لكل زمان ومكان، ولكل جيل.

إن التربية الإسلامية المنبثقة من الكتاب العزيز والسنة النبوية الشريفة تعد منهاجاً متكاملاً للحياة كلها، لأنها تكشف من خلال مضامينها عن جوانب طبيعة هذا الإنسان، وتتناول حياته ومعاشه وعلاقته بالحياة الأخرى، وتهتم بكل سلوكياته وعلاقاته الاجتماعية التي تربطه بالآخرين.

ولقد كان من أثر تطبيق هذا المنهج العظيم لهذه الأمة المحمدية ما وصفهم الله به في كتابه العزيز فقال: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...**﴾[2].

تلك الأمة العظيمة اختارها الله لتكون شاهدة على الأمم السابقة فقال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا**﴾[3].

هذه الأمة امتثلت للأمر الإلهي فكانت مركز هداية وإرشاد لكل الناس ففتحت مشارق الأرض ومغاربها وعمرت وبنت ونشرت الهدى والعلم والنور المبين.

فلسفة التربية القرآنية ووظيفتها الإرشادية لهي النشاط الفكري والسلوكي المنظم الذي ينظم ويؤصّل عملية التربية ويجعلها في منظومة واحدة متناسقة ومتكاملة، ويوضح الأهداف والقيم التي تسعى لتحقيقها بهدف التدرج في التكامل الإنساني والرقي العلمي والعملي.

ولقد اهتم القرآن الكريم بموضوع التربية والإرشاد والتنشئة المتكاملة المتوازنة في جميع الجوانب التعبدية والعلمية والاجتماعية والأخلاقية والنفسية والاقتصادية والصحية والجمالية والنصح والتوجيه والاعتبار من قصص الأولين والسابقين... مبيناً كيف توقظ العناصر التربوية

---

[1]- سورة النحل، الآية ٨٩.
[2]- سورة آل عمران، الآية ١١٠.
[3]- سورة البقرة، الآية ١٤٣.

الوعي وتفتح آفاق الإنسان للوصول إلى غايات التربية المقصودة وتمثّل بصورة عامة الركيزة الأولى في العملية التربوية ومنها تنبثق أهداف التربية والإرشاد القرآني ومنهاجه وقيمه الأصيلة.

وإن تطبيق نظرية الإرشاد في ميدان الخبرة الإنسانية التي تسمى التربية وتعمل على نقد العملية التربوية وتعديلها والعمل على اتساقها وتوضيحها حتى تتلاءم مع الخبرة الإنسانية ومع الحياة المعاصرة وتتضمن البحث عن كل مفهوم قرآني إرشادي يوجه ويصوب للإنسان حركته ويخرجه من ضوء علاقاته بالخالق والكون والإنسان والحياة وما بعد الحياة.

من خلال ما ورد في القرآن الكريم يفيد الإرشاد والإصلاح دستور كامل متكامل تربوي أسري يعالج قضايا الفرد والمجتمع.

وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿**لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ منَ الْغَيِّ**﴾[1].

وهنا دلالة على عظمة البيان والإرشاد الإلهي. وقال تعالى: "﴿**وما أَهْدِيكُم إِلاَّ سبِيلَ الرَّشَادِ**﴾[2].

أي أن الطريق الإلهي هو الموصل لسبيل الحق لأنه صدر من مصدر قطعي الصدور ومنزه من الخطأ والفرضية الشخصية. وقال سبحانه: ﴿**يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا**﴾[3].

وقد وردت في القرآن الكريم إحدى وستين مرة معان تخص الإرشاد منها قوله تعالى: ﴿**ونَفْسٍ وما سوَّاها * فَأَلْهمها فُجورها وتَقْواها**﴾[4].

دلالة هذه الآية واضحة في تسوية النفس وتصويبها ورسم مسار الإرشاد لها عن طريق الإلهام والفطرة والهداية.

وتشير العلاقة الإرشادية إلى المناخ النفسي الذي يتولد من التفاعل به المرشد والمسترشد، وعليه فإن العلاقة الإرشادية تؤدي لنمو نفسي جيد ولنتائج مربحة تشعر المسترشد بالأمن والأمان والاستقرار النفسي.

كما ويتأثر المناخ النفسي في العلاقة الإرشادية بعدد من العوامل منها السمات الشخصية الحالة النفسية والدوافع الداخلية والاطمئنان إلى القيام بالفعل.

- الحاجة الإنسانية للإرشاد:

الإرشاد حاجة تفرضها الطبيعة التكوينية للإنسان فهو يقوم على أسس عامة منها: مرونة السلوك الإنساني وقابليته للتعديل والتغيير، وحق الفرد في الإرشاد والتوجيه حاجة ملازمة للفرد من الطفولة إلى الكهولة.

---

[1]- سورة البقرة، الآية ٢٥٦.
[2]- سورة غافر، الآية ٢٩.
[3]- سورة الكهف، الآية ١٧.
[4]- سورة الشمس، الآية ٧-٨.

وقد وردت أيضاً في القرآن الكريم الكثير من الآيات القرآنية التي تصف المعاناة النفسية وحالة القلق والتوتر التي يعاني منها الأفراد في معترك الحياة مبينة كيفية توجيه النفس البشرية نحو الطمأنينة والاستقرار والصبر على ما يواجهها من إحباط ومتاعب.

وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وإِذَا مَسَّهَ الْخَيرُ مَنُوعا * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ**﴾[1].

وهذا دليل وتوجيه لإرشاد النفس نحو تحصيل الهدوء من خلال الأمر بالصلاة وهي التي تخلّص الفرد من القلق والتوتر.

فهنالك جذور إسلامية للإرشاد التربوي والنفسي من خلال تطوير مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقوم بها المكلّف ويصوب سلوكه وسلوك الآخرين.

فالمرشد الأول في الإسلام هو النبي محمد(ﷺ) والذي اتسمت علاقته بالمسلمين وغيرهم بالمودة والثقة والرحمة. ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾[2]. وفي قوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾[3].

وهنا دليل واضح على أن الإرشاد لا يكون إلا باللّطف واللين والعطف القلبي، وهذا لا يتحقق بمفاعيله الحقه إلاّ إذا كان المرشد محب للمسترشد ومحب لمصلحته وإلا لا يحصل التواصل القلبي ولا تصل النصيحة والتصويب.

التسليم الموجه الذي يسهم في إغناء التجربة الإرشادية كما في قوله تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَمًا**﴾[4]. وفي آية أخرى: ﴿**والذين يجتنبون كبائر الإثْمِ والفَواحش وإذا ما غَضبوا هم يغْفرون**﴾[5].

هذه الآيات مرشدة وموجهة للنفس فهي تفتح وعي الفرد على آفاق الحلول والترفع عن المتاعب النفسية وتساعد في خلق الأجواء التي تؤمن الراحة النفسية في مواقف الحياة التي تواجهها.

- استشعار عظمة الله:

من الأمور التي تؤثر في النفس استشعار عظمة الخالق وجليل قدرته، بحيث عندما يقرأ أو يسمع كلام الله يشعر بأنه هو المخاطب وهو المعني بهذا الكلام، فمحاولة فهم معاني القرآن

---

[1]- سورة المعارج، الآية ١٩-٢٠ – ٢١- ٢٢.
[2]- سورة آل عمران، الآية ١٥٩.
[3]- سورة النحل، الآية ١٢٥.
[4]- سورة الفرقان، الآية ٦٣.
[5]- سورة الشورى، الآية ٣٧.

الإرشادية يكون بالرجوع إلى التفاسير، لأن الجهل بمعاني القرآن يصرف عن تدبره وعن حصول الاطمئنان القلبي بقراءته وفهم المطلوب منه.

ومن المهم ربط القرآن بالواقع الذي يعيشه الفرد، وذلك بقياس التجارب القرآنية والنظر إلى نتائجها وإلى القصص التي يحكيها، وكيف كان هلاك من أعرض عن النصح والتوجيه الإلهي مهما بلغوا من القوة والعزة.

وعليه فإن الرجوع لأخذ النصح من كتاب الله ومن أولياءه لهو المنقذ للإنسان من الهلاك لأن الإرشاد النفسي العلمي فقط معرض للصوابية والخطأ والنظريات معرضة للتغيير أما النصح الإلهي منزه عن الخطأ والغرضية. قال تعالى: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا**﴾[1].

ومَنَ المعَلوم أنَ القلب إذ أحب شيئاً تعلّق به، واشتاق إليه وشغَف وانقطع عما سواه وهذا يشير إلى أهمية الإرشاد النفسي لأن القلب إذا أحب يتلذّذ بكلام محبوبه ويجتمع على فهمه ووعيه فيحصل بذلك التأثر والفهم العميق والعكس صحيح إذا لم يوجد الحب فإن إقبال القلب يكون صعباً.

وعليه فتحصيل حب القرآن من أنفع الأسباب لحصول التدبر، ومن علامات حب القرآن الفرح بلقائه وتقديمه على كل شيء والجلوس معه أوقاتاً طويلة وأخذ الإرشاد من آياته والرجوع إليه فيما يشكل من أمور الحياة أي جعله مقياساً لكل الأمور.

عن ابن عباس قال: « أفلا يتدبرون القرآن فيتفكرون فيه ويرون ما فيه من المواعظ والذكر والأمر والنهي»[2]، وكل ذلك كي يكون الإنسان مستقراً في حياته، فإن القرآن يقرر أن الإنسان السوي الراشد لا يستجيب للأذى الذي تعرض له في سنين حياته فالله يكفيه ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا**﴾[3].

وقال تعالى: ﴿**وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً**﴾[4].

وفي آية أخرى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاء**﴾[5].

---

[1]- سورة النساء، الآية ٨٢.

[2]- البشاوري ابو الحسين مسلم القشيري (٢٦١هـ)، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي. بيروت، لا ط، ص ٢٢.

[3]- سورة الأحزاب، الآية ٣٩.

[4]- سورة الأحزاب، الآية ٤٨.

[5]- سورة إبراهيم، الآية ٢٧.

فهذه الآيات وغيرها تشير وترسم معالم الإرشاد النفسي العام، والذي يهدي الإنسان إلى أصول الإرشاد الإلهي والوسائط الإلهية كتبليغ الأنبياء (ع) ودورهم في صوغ المفاهيم.

و للمحافظة على مسيرة الإنسان في الدنيا وحفظ صحته النفسية من خلال إبعاده عن التهديد والخوف والاضطرابات وإكسابه السكينة من خلال المنهج الإلهي الذي يفضي إشعاعاته على القلب فيكسبه الثقة بالخير والصلاح وقوة واستعلاء على الواقع الصغير، ولتحقيق هذا الهدف يشير القرآن الكريم إلى أمور كثيرة لم يكلها الله لعباده بل تكفّل بها، كالحياة والرزق التي بيد الله وهي معاني يعزّ نظيرها في فكر آخر هذه الأمور الإلهية الحصرية بالباري تكسب الإنسان ثقةً وأمناً في نفسه وتجاه خالقه.. ﴿**وفي السَّماء رِزْقُكُم وما تُوعَدُونَ**﴾[1].

وفي الإرشادات القرآنية بيان الأساليب التي تساعد الإنسان في حل مشكلاته وذلك بحثّه على ابتكار حلول فعالة للمشكلات الشخصية والاجتماعية.

وتظهر الحقيقة التوجيهية للإنسان في القرآن الكريم من خلال إقراره بوجود مشاكل في الحياة البشرية، قال تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ**﴾[2].

ويعبر عن ذلك في العملية الإرشادية بأن يوجه إلى حل نصف المشكلة، حيث أن الاعتراف بوجود مشكلة يعني البدء في حلّها وعلاجها.

كما أن الاعتراف بمشقة الحياة هو منهج إرشادي يعترف بالمشكلة ثم يتوجه لحلّها بعدة أساليب، منها:

أ. تقليل حجم هذه المشاكل بأنها لا تدوم وأن بعدها يأتي الفرج. ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا**﴾[3]. وفي آية أخرى: ﴿**إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا**﴾ [4].

ب. تغيير المكان قد يحتوي حلاً لمشاكل الإنسان وفي ذلك قال تعالى: ﴿**وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً**﴾[5].

ج. عدم الاستقرار النفسي يمكن التغلب عليه بالإنفاق، ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾[6].

---

[1]- سورة الذاريات، الآية ٢٢.
[2]- سورة البلد، الآية ٤.
[3]- سورة الطلاق، الآية ٢.
[4]- سورة الشرح، الآية ٦.
[5]- سورة النساء، الآية ١٠٠.
[6]- سورة البقرة، الآية ٢٦٥.

د. كلّف القرآن الكريم المجتمع المسلم بمساعدة كل فرد لأخيه بقوله تعالى: ﴿**وتَعاونُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى**﴾[1].

من خلال تلك الآيات ودلالتها نرى أن منظومة الإرشاد العام والخاص التي تفيد المجتمع والفرد موجودة كاملة في القرآن الكريم وبأسس تامة.

فالقرآن الكريم يشخص كل مراحل النمو ويصف خصائص كل مرحلة وحاجاتها وكيف سهل كل المقومات والدوافع الحياتية التي تساعد الإنسان في سبيل تحصيل العيش والتربية الروحية والنفسية والجسدية التامة والصحيحة.

أهمية الروح والصورة في الإرشاد:

وفي قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّماء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صوركُم وَرزَقَكُم منَ الطَّيِّبات...**﴾[2].

تدل هذه الآية على أهمية الاستقرار المادي والنفسي لتعزيز ثقة الإنسان بنفسه وبربه وأنه هو الرزاق مع سعينا ومع جمالية الخلق، إلاّ أن الهدف الحقيق في السعي هو تحسين صورة الروح والنفس والتذكير بالنعم والحفاظ عليها. وفي مورد أخرى تشير الآية القرآنية: ﴿**يَا بَني آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ...**﴾[3].

بحيث أن الاعتدال في الطعام والشراب وعدم الإسراف أيضاً هو إرشاد وتوجيه إلهي للحفاظ على صحة الإنسان البدنية والنفسية كي لا يعيش حالة الشر والطمع والإسراف.

كما تعرضت الآيات القرآنية إلى الإرشاد العام والخاص الاجتماعي فمثلاً في الخطاب الإلهي لسيدنا موسى (ع)، لما ورد ماء مدين كيف تعامل مع المرأتين وتعاملهن في المحافظة على الحياء المطلوب والاختلاط الواعي والمدروس، وفي تواضع النبي (ع)، وكيف سقى لهما وابتعد كي لا يحرجهن، بحيث ذكر القرآن كيف سارت إليه احداهن واصفاً مشيتها مبيناً أن كل عمل له جزاء وأجر معنوي ومادي ﴿**أَبي يَدْعُوكَ ليَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جاءه وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لا تَخَفْ نَجَوْتَ منَ الْقَوْمِ الظَّالمينَ**﴾[4].

---

[1]- سورة المائدة، الآية ٢.
[2]- سورة غافر، الآية ٦٤.
[3]- سورة الأعراف، الآية ٣١-٣٢.
[4]- سورة القصص، الآية ٢٥.

الآية أيضاً دلت على التعاون والأخلاق الراقية كيف يجزي الله صاحب الأخلاق وقاضي الحوائج فأكرمه بابنة نبي والحصول على السلام الذي كان يفتقد له موسى (ع)، فالأجر امتزج بين المادي والمعنوي.

وأيضاً يشير القرآن إلى تحقيق الذات وذلك بمساعدة الفرد على التحكم بالعواطف السلبية والمخيبة للذات مثل القلق والشعور بالذنب واحتقار الذات والوحدة وفقدان الأمل وعدم الشعور بالأمن.

ومما أشار إليه القرآن يتضمن معاني حول تحقيق الذات:

﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾[1].

[1]- سورة المنافقون، الآية ٨.

المبحث الثاني: نماذج للدراسات والإشارات (أنموذج القصص القرآنية الهادفة):

القرآن العظيم أنزله الله تعالى على خاتم الأنبياء (ﷺ) والدين المحمدي دين خالد وعام لجميع الخلق وخاتم الأديان، وهو دستور الخالق لإصلاح المخلوقين، وقانون هداية لأهل الأرض، ﴿**لا يأْتيه الْباطلُ من بيْنِ يديْه ولَا منْ خلْفه * تنْزيلٌ منْ حكيمٍ حميدٍ**﴾[1].

وهو مصدَرَ التشرَيع وَمعصوم عَن الخَطأ ومنَزَه عن الذلَ، لهذاَ يستدلَ في الأمور العقيدية وفي العبادات والأحكام والآداب والأخلاق والمواعظ والقصص الهادفة والعلوم والمعارف في كل الجوانب ﴿ **ذَلكَ الْكتَابُ لاَ ريْبَ فيه هُدًى لّلْمُتَّقينَ**﴾[2].

وهو وسَيلة إصَلاح للمجتمَعَ حتى فيَ غيَر المجتمع الإسلامي، فالكثير من الدول الأوروبية والأجنبية جعلوا من القرآن باباً لسن القوانين وجعلوه في مكتباتهم ولاذوا بأحكامه العادلة والرحيمة كما قال المستشرق (فون هامر) في مقدمة ترجمته للقرآن: «أن القرآن ليس دستور الإسلام فحسب، وإنما هو ذروة البيان العربي، وأسلوب القرآن المدهش يشهد على أن القرآن هو وحي من الله، وأن محمداً قد نشر سـ لطانه بإعجاز الخطاب، فالكلمة لم يكن من الممكن أن تكون ثمرة قريحة بشرية فالقرآن وحي من الله، لا يجده زمان ومتضمن للحقيقة المركزة»[3].

فالقرآن الكريم لم يتخذ لنفسه طريقة خاصة لإفهام مقاصده غير ما هو مفهوم من لغة العرب وأصول محاوراتهم بلسان عربي مبين، وكان من جملة ما جاء به القصص القرآني لما فيه من نصوص مكتنزة بالمعاني أشارت في طياتها إلى جملة من الأحكام الشرعية والدروس الأخلاقية والتربوية النموذجية التي تفيد الفقهاء والعلماء والأطباء والتربويين.

ففي القصة القرآنية الكثير من الدروس والعبر لما امتازت به من واقعية لأن القصة القرآنية فيها مثال حي يشبه أنماط حياة الإنسان في كل أحداثه ويصف بكل واقعية ما جرى على الأمم السابقة بكل دقة وتفصيل ، كي تكون العبرة واضحة لأصحاب العقول، وكذا تثبيتاً لفؤاد النبي (ﷺ) وما أجرى الله سبحانه من سننه في الأقوام السابقة ﴿ **لاَ يُؤْمنُونَ به وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلينَ**﴾[4] ، وإعلاماً بالغيب الماضي وهو بحد ذاته أمر إعجازي ونبأ عظَيم ودستور تربوي واضح وثقة تامة وهادف ولا يـ جرح لأنه يربي بالأثر والنصيحة والاعتبار بروية كبيرة.

أيضاً من خلال عرضه لسرد طائفة في قصص الأنبياء والمرسلين كقصة صاحب موسى (ع) ومريم الصديقة ﴿ **نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ من قَبْله لَمنَ الْغَافلينَ**﴾[5].

---

[1]- سورة فصلت، الآية ٤٢.
[2]- سورة البقرة، الآية ٢.
[3]- بول شفارتسنا، القرآن دليل المسيحيين،
[4]- سورة الحجر، الآية ١٣.
[5]- سورة يوسف، الآية ٣.

كما كانت عظمة القرآن عند الإمام علي بن الحسين (ع) تحتل مكانة سامية في قلبه وتتقاطر آياته من شفتيه يقف عند زجره ونهيه يعتبر من أمثاله مسترشداً بمواعظه وقصصه متدبراً في مكنوناته مستنطقاً لدلالاته.

وهو يقول في ذلك ((اللهم فإذ أفدتنا المعونة على تلاوة وسهلت حواسي ألسنتنا بحسن عبارته، فاجعلنا ممن يرعاه حق رعايته، ويدين لك باعتقاد التسليم لمحكم آياته ويفزع إلى الإقرار بمتشابهه وموضحات بيانه. اللهم إنك أنزلته على نبيك محمد صلى الله عليه وآله محملاً، وألهمته علم عجائبه مكملاً، وورثتنا علمه مفسراً، وفضلتنا على من جهل علمه وقويتنا عليه لترفعنا فوق من لم يطق حمله))[1].

من هنا يتبين دور الأئمة في استنطاق النصوص القرآنية التي حوت في مضامينها تلك القصص فالإمام (ع) يروي تفاصيل القصص دون أن يحدث عن أحد.

ولم يسند روايته لأحد لأنه لا ينطق من فراغ – بل الأئمة (عليهم السلام) موكلين بهذا الدور ((إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))[2]، الأئمة(ع) مصدر من مصادر التشريع كالقرآن.

فالإمام أماط اللثام عن الكثير من أسرار القصص وأهداف سردها وربطها بكل زمان حاكياً عن القصص دروساً وعبر تحتم على المؤمن السير في ضوئها، وهذا بحد ذاته تأصيل علمي معرفي تربوي لهم من خلال القصة وأهدافها وأن المراد بالقصص هو الخبر الذي تتابع فيه المعاني وأصله إتباع الأثر.

الإرشاد والتربية بالأثر:

من الأساليب الفاعلة في التربية والإرشادات السلوكية تعديل السلوك أسلوب التربية بالأثر ويهدى إلى هذا الأسلوب ما جاء في قصة ابن أحد الحكماء عندما ذهب إلى الغابة متمشياً ويد نشد وتحت قانون الصدى كان الصوت يرجع مرة أخرى ليسمع الطفل ما أنشده، وبحكم سنه كان يعتقد أن طفلاً آخر قد سرق نشيده وأخذ ينشده، فقام بشتم الطفل الموهوم ليسمع الشتيمة ترتد إليه ولما عاد للمنزل سرد على والده ما حدث وأن هناك طفلاً سرق نشيده وشتمه.

فقال الوالد وهنا العبرة في التربية الحكيمة:

- يا بني: قل خيراً تسمع خيراً.
- فعاد الطفل للغابة وأخذ يمدح الطفل الموهوم قائلاً: إنك طفل جميل فسمع الرد أنك طفل جميل.

---

[1]- الإمام زين العابدين (ع)، الصحيفة السجاديه، ص ١٩٤.

[2]- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ج١، ص ٢٩٤.

وهكذا انغرست هذه الحكمة في قلب ذلك الطفل ليتعلّم أن معاملة الآخرين له مرتبطة بمعاملته لهم.

هكذا يكون دور الأسرة في بناء الحكمة في الفرد وأنّ كل فعل له ردة فعل كما تسهم التنمية الفكرية والعقلية في توسيع آفاق الفرد وتطهير قلبه وانتزاع العداوة تجاه الآخرين، لأنها تدمره قبل أن تدمر الآخرين.

ولأن معظم الأُسر لا يسمع أفرادها إلاّ الشتائم وزرع بذور الأنانية والحقد تجاه الآخرين ما يجعلهم يتلّبسوا الشخصية العدائية في حياتهم فيكون ذلك مانعاً من التوصل إلى شخصية سليمة حكيمة.

فالمجتمع الفاضل لا يتكون إلا بوجود الأسرة المسلمة التي تستقي منهلها ومنطق سلوكها من الإرشاد الربّاني بعيداً عن التربية المادية، بل تمثل القدوة والأنموذج لكل الأسر وحقلاً للأخلاق الفاضلة.

إن الأسرة لا بد أن تخرج من ربوعها الفرد الصالح ليمارس دوره الرسالي والتوجيهي في المجتمع، لذلك دعا إبراهيم (ع) ربه لأن يرزقه ولداً وليكن هذا الولد صالحاً وإلاّ لما قامت أسرة نبي الله إبراهيم (ع) بدورها في بناء حضارة بابل ﴿ **رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ**﴾[1].

وحتى يكون هذا الفرد صالحاً لا بد له أن يكون مطيعاً لرب الأسرة ما دام هذا الاب يمثّل المبادئ والقيم السماوية، ولذلك عندما حاوره أبوه في شأن رؤياه لم يعترض بل أجاب بثقة تامة ﴿**افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ**﴾[2]، ما دام الأمر الذي تعهده والده إلهي فلا إشكال في التضحية. إنه العطاء الكامل من الأب والإبن.. من الأسرة الفاضلة.. في سبيل الله.

هذا من النماذج الجميلة والراقية في الاقتداء والثقة بالمربي حتى في أصعب الظروف والابتلاءات.

- المنهج التربوي في القرآن الكريم:

القرآن الكريم دستور حياة وكتاب هداية وإرشاد وتوجيه، هو منهج شامل وفيه بيان لكل جوانب الحياة وما يحتاجه الإنسان لأنه كتاب تربية معداً سماوياً من الخالق سبحانه.

﴿ **يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**﴾[3].

---

[1]- سورة الصافات، الآية ١٠٠-١٠١.
[2]- سورة الصافات، الآية ١٠٢ – ١٠٧.
[3]- سورة لقمان، الآية ١٧.

وفي القرآن الكريم نجد أهداف التربية ومواضيعها السبعة لهذا اعتمدنا على منهج التربية من خلال القصص.

التربية العقيدية، والخلقية، والجسمية، والنفسية، والعقلية، والاجتماعية، والجنسية.

والشواهد القرآنية على المواضيع والأهداف التربوية كثيرة لا يسعنا استعراضها هنا.. ولكن لا بد من الإشارة لأمرين أساسيين:

١- العبادات وآثارها التربوية.

٢- الأسلوب التربوي في القرآن الكريم (السلوكي).

﴿ اتْلُ ما أُوحِي إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ واللَّهُ يعلم ما تصنعون﴾[٢].

﴿ وعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يمشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيامًا﴾[٢].

- منهج التربية بالقصص القرآني:

ويشير هذا إلى الأثر والقصص وأهميتهم فالسيد محمد صادق الصدر (ت١٤٢١هـ) عندما قال: « ومن هنا نلاحظ أن الراغب يرجع القصة المعروفة إلى معنى تتبع الأثر لكونها بالأصل من الأخبار المتبعة أي المطلوب سماعها وبيانها.. في حين نرى ابن منظور يجعل القصة المعروفة مأخوذة من القصص وهو الخبر أو الكلام الذي في النفس، كما يمكن أن تكون القصة مأخوذة من القصص وهو القطع، على اعتبار أنها قطعة من البيان المطلوب»[٣].

فالقصة القرآنية ليست مسرحية ولا عملاً مستقلاً في موضوعه وطريقة عرضه وإدارة حوادثه التي ترقى لأداء هدف فني طليق.. إنما هي وسيلة من وسائل القرآن الكريم لبيان طريقة حياة وأحكام فهو كتاب دعوة وحياة القصة وسيلته لتبليغ هذه الدعوة وتثبيتها.

فالتدبير في القصص عجيب ومعجز في توزيع المشاهد القصصية وموزع بطريقة محكمة بين الحدث والشخصية.. فالأشخاص أياً كانوا ليسوا مقصودين لذاتهم إنما هم نماذج بشرية يمثّلون في الحياة وفي كل وقت الخير والشر في كل صراعاته.. وتسليط الضوء عليهم باعتبار الدور الذي تؤديه الشخصية كشاهد من شواهد الإنسانية في كل جوانبها الضعف والقوة وفي استقامتها وأهدافها وضلالها وهدايتها.

---

[١]- سورة العنكبوت، الآية ٤٥.

[٢]- سورة الفرقان، الآية ٦٣-٦٤.

[٣]- الصدر، محمد صادق، ما وراء الفقه، دار القلم، بغداد، لا ط، ١٤٢١هـ، ص ٧٦.

- خصائص القصص القرآني:

كما اختلفت تقسيمات العلماء للقصص القرآني: فالبعض قسمها ناظراً للعناصر أو الموضوع أو الشخصيات، وفي تقسيم آخر ذكره (مناع القطان) حث وزّع تقسيمه إلى عدة أنواع منها:

١- قصص الأنبياء، وقد تضمن الدعوة والمعجزات والمواقف.

٢- بيان أحوال المعاندين وعواقب الأمور، كقصص نوح وإبراهيم وموسى وهارون.

٣- قصص تتعلق بحوادث مضت وأناس ادعوا النبوة (مثال ابني آدم(ع) واصحاب السبت) وأناس أخرجوا من ديارهم كأصحاب الكهف ومريم وأصحاب الفيل.

٤- قصص تتعلق بالحوادث الواقعة في زمن الرسول محمد (ﷺ) كغزوة بدر وأحد في سورة آل عمران، وغزوة حنين وتبوك في التوبة وغزوة الأحزاب في سورة الأحزاب.. والهجرة، والإسراء.

وكل ذلك إن دل إنما يدل على خصائص فنية وذاتية للقرآن وقصصه الذي يعبر بصدق وواقعية وهو يتفق مع الإنسان في حقيقته وواقعه.

ويترقى الهدف القرآني في بيان معاني القصة من خلال تحصيل العظة والتماثل فعندما تتحصل العظة والصلاح تكون القصة القرآنية قد حققت الهدف من الذكر، إضافة إلى ما يتحصل بالنفس الإنسانية من راحة واطمئنان.

حيث أن دافعية الكتاب المقدس دافعية هدفيتها راقية منزّهة عن الأنا الفرضية بل هي إنسانية محض ومراعية لجوانب وقوى النفس وحوائج الحواس ومقوماتها، لهذا عندما تنظر النفس لنواهي القرآن تجد فيها حكمة ومحافظة على المجتمع والنفس.

فالإنسان في القرآن هو خليفة الله وحوله تدور الرحى في القصة القرآنية. فهو القطب للرحى في الكون الذي استخلف فيه بهدف نيل السعادتين في الدارين وقياس القصص على حياتنا هام جداً لأن أبطال القصص القرآني حقيقيون لا خياليون وكل واحد في نفسه منعدم النظير، فمثلاً:

- إبراهيم (ع): بطل حطم الأصنام بروحه العالية التي لا تساوم على الخطأ والكفر والشرك.
- نوح (ع): بطل الصبر والاستقامة والرحمة.
- موسى (ع): بطل التربية لقومٍ لجوجين، ووقوفه بوجه فرعون وتغلّبه على متكبر طاغٍ.
- يوسف (ع): بطل الورع والفضيلة والتقوى والطهارة في أصعب الظروف والمغريات.

ويمكن إجمال أبرز الخصائص للقصص فيما يلي:

١- أسلوب العرض المتنوع وهذا مهم جداً يشبه العصف الذهني في عالم التربية والإرشاد حيث أن القرآن يلّخص القصة ثم يبدأ بعدها بعرض تفصيلاتها من بدئها حتى نهايتها.

سارداً كل المشاهد مثال: ﴿ **أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا * إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا * فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا**﴾[١].

يقولَ ناصر مكارمَ الشيرازي بعد قراءتي لعددَ من آراء العلماء «الملفتَ للنظر أن القرآن ذكر في البداية قصة هذه المجموعة بشكل مجمل ثم وظّف كل الفصاحة والبلاغة وهيئ الأذهان ضمن أربع آيات ثم بعد ذلك ذكر التفاصيل في أربعة عشر آية، في حين نرى في سورة يوسف(ع) يصور لنا مشهداً آخر يتجلّى فيه بوضوح عاقبة القصة وهدفها وإرشاداتها النفسية والدينية والأخوية والاجتماعية... ثم سير خطواتها...»[٢].

وما أجمل ما افتتح به سبحانه وتعالى قصته (ع) بذكر الرؤيا والبشرى، لما سيناله من الولاية الإلهية وكيف اجتباه ربه وعلمه تأويل الأحداث وإتمام النعمة ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾[٣].

الرؤيا تحققت حساً ومعنى...

أما في قصة مريم خبأ في طيات القصة مفاجأة عظيمة..

﴿ **فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ...**﴾ [٤].

فقصة مريَمَ(ع) كانت بَداية لقصة عيسى(ع).

حيث أن القصة القرآنية فيها عرض تصوري تمثيلي يساعد إلى حدّ كبير في عمليتي التربية وفي الإرشاد، لأنه جلي للناظر والمتخيل المتربي، ففي كل مشهد هُناك درس وحتمية تربوية هادفة وموصلة لهدف سامي ومليء بالقيم والروابط الحية.

وفي تفسير الأمثل يبين كيف تضرع إبراهيم وإسماعيل (ع) إلى الله سبحانه بخمسة طلبات هامة ومقدسة في اشتغالهم ببناء الكعبة وجهة الاستقامة والتقويم وهذه الطلبات شاملة لكل احتياجات الإنسان المادية والمعنوية، وتبين عظمة هذين النبيين(ع)، حيث: ﴿**ربَّنَا واجعلْنَا مُسلمينِ..**﴾ وهذا فيه تمام الرضا والتسليم.

---

[١]- سورة الكهف، الآية ٩.

[٢]- الامثل في تفسير كتاب الله المُنَزل، الشيرازي، ناصر مكارم الدين، ط٢، ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج١٣-١٤، ص٤٥٣.

الامثل في تفسير كتاب الله المُنَزل، الشيرازي، ناصر مكارم الدين، تاريخ الطبع ٢٠٠٢م، دار إحياء التراث العربي، ج١٣-١٤، ص٤٥٣.

[٣]- سورة يوسف، الآية ٤.

[٤]- سورة مريم، الآية ٢٧.

ثم أضافا: ﴿**وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ**﴾ نفي الأنانية.

طالباً إرشادهم إلى طَرِيق العبادة ﴿**وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا**﴾ طريق الراحة النفسية والأبدية، وقد ختم مطالبه بالتوبة ﴿**وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ**﴾[1] الآية تضمنت فعل التفريغ وعدم تقريع الضمير وراحته بالتوبة وكيفية معالجة النفس بعد الذنب، وهل هناك خيارات وفرص أم لا وهذا بحد ذاته علاج نفسي وروحي هام جداً.

[1]- سورة مريم، الآية ٢٧.

- علاقة النّفس بالتربية:

طبيعة النفس البشرية وتكوينها الفطري ودوافعها فهي تنجذب إلى الخير وتنقبض عند فعل الشر، وهذا يخالف ما أراده الخالق للإنسان والفطرة والنفس، لهذا فإن النفس دوماً تألف القيم الحسية وتسلك السبل نحو الكمال المطلق وخلال رحلة السالك يتأثّر بكل التفاصيل وتتطهر نفسه وتتركّز لترقى أكثر فأكثر إلاّ من ختم الله على قلبه وسمعه وبصره، وبهذه الحال يكون قد دخل مرحلة بعيدة عن ما أراده الخالق له وعمل بعكس الفطرة وبالتالي غلبته شقوته وخسر إلاّ ما رحم ربي.

لهذا نجد أن انجذاب النفس للتربية والأخلاق كبيرة جداً وهذا ما يسمى بالمجاهدة والتخلي والتحلي والتجلي، وهي مراحل عالية المضامين وجامعة للسالك.

فمن خلال التعاليم الإلهية ومنبع الرسل والأنبياء يمكن التأسيس للمبادئ الإرشادية واستنباط القيم التربوية من معاني القصة القرآنية التي تعد أساساً وقاعدة لجهاد النفس، كما تشكل بناءاً تربوياً أصيلاً في تهذيب النفس.

فالقيم التربوية المستخلصة من القصص القرآني تعد ركيزة من ركائز الأخلاق الإنسانية العالية في مقابل الركائز الأخرى، أما التركيز على الأحاسيس والانفعالات في شخصية الإنسان والتربية على الاهتمام بالغرائز وتقويمها ومراقبتها في مسيرة الإنسان وحركته التكاملية سواء على مستوى الفرد أو الجماعة إنما تقوم وتشكّل وفق الأسس والقيم الأخلاقية بعد العقيدة والإيمان بالله والرسالات والمعاد، بل إن الإتّصاف بالأخلاق العالية هو الذي يمثّل عنصر التكامل الحقيقي في حركة الإنسان الفردية والجماعية، ولذا كانت قاعدة المجتمع الإنساني في نظر الإسلام أخلاقية، والسلوك الراقي للإنسان هو السلوك الأخلاقي، وقد ورد عن رسول الله (ﷺ) **«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»**[1].

وتقويم النفس بالتربية وتحسينها بالأخلاق إنما يوجب تزويدها بالقيم أي الاستقامة والاعتدال والعدل والثبات والعمل دون ملل المراقبة، وأن القيم والاستقامة واعتدال الشيء واستواؤه هو أساس في تربية النفس والقيم تعني ديناً قيماً مقوماً لأمور معاشهم ومعادهم. **﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾**[2].

وبَمَا أنَ العالم في حركة دائمة فهو متغير لذلك فإن عامل الزمان والمكان يسهم في تعريف أسس التربية ومعنى التربية لا يتأثر بمرور السنين فحسب بل باختلاف المكان أيضاً.

وبناء عليه فإن التربية تعني عملية التفاعل المستمر بين النفس وما يدور حولها، وبين ما يكتسبه الفرد من أخلاق وقيم أثناء عملية السير والسلوك والتكامل.

---

[1]- كتاب بحار الأنوار، العلامة المجلس، ج ١٦، ص ٣٣٣.
[2]- سورة الإسراء، الآية ٩.

ومن خلال هذا السير تتأثر النفس وتتفاعل مع كل ما هو مختلف معها وهو ما يسمى بالتفاعل المستمر.

لذا جاءت القصة القرآنية بطابع أخلاقي ديني يربي على الإيمان بالغيب أو على التسليم والخضوع لله تعالى وللحكمة الإلهية، أو على الأخلاق الإنسانية العالية كالصبر والإخلاص والحب لله والطائفة في سبيله، والشجاعة والاستقامة في العمل والاقتداء بقدوة حسنة.

حيث تضرب القيم جذورها وتأصيلها في النفس البشرية لتمتد إلى جوهرها وخفاياها وأسرارها، و تشكل ركناً أساسياً في بناء الإنسان وتكوينه. فالقيم تمثل جوهر الإنسان الحقيقي الذي يصبح به الإنسان إنساناً، وبدونها؛ أي بدون الأخلاق، تصبح نفس الفرد فاقدة للإنسانية وترد إلى أسفل السافلين ويدخل في دائرة الحيوان الذي استفحلت فيه قوته البهيمية وسيطرت عليه ودمرت نفسه وقادته شهواته إلى ما لا تحمد عقباه، فينحط إلى دركه ويفقد حسه الإنساني الذي وهبه الله إياها، وبالتالي يخسر أخلاقه ويغلبه هواه فيخسر آخرته ودنياه..

﴿**إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بل هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا**﴾[1].

- القيم الأخلاقية في القصص القرآني:

تحدد التربية والأخلاق مسارات الفرد وسلوكه في الحياة، فسياج القيم والأخلاق هو الذي يحفظ نفس الإنسان من الانحراف النفسي والجسدي والاجتماعي؛ وبدونه؛ أي السياج، يصبح الإنسان عبداً وسجيناً لغرائزه وأهوائه وشهواته التي لا تقوده إلا للدمار، لهذا كان التأكيد على الفضائل للحافظ من التهالك والهلاك.

ومع ما يمثّله القرآن الكريم من منهج تقويم في التربية النفسية، تبرز حقيقة قطعية وهي أن هذا الكتاب لم ينزل ليقرأ فقط أو ليقدس فقط، بل جاء ليكون مرجعاً في صوغ المنظومات المعرفية التي لها تأثيراً مباشراً على حركة الفرد المؤمن به وليكون مرجعاً في رسم الحدود التي يقوم فيها الإنسان في جميع سلوكياته وتحدد المواقف البشرية سواء كانت فردية أو جماعية.

ففي القصص القرآني، الكثير من الإشارات والأمثلة التي تفيد في مجال الإرشاد بين الشقاء والفلاح، كما في دلالة القرآن لقصة آدم (ع)، وتخيير رب العالمين له بين طريقين، وبدء التكاليف، وبيان الآثار المترتبة على الاختيار بين النجدين له ولبني جنسه.. هذه الآية دلّت على الشقاء الإنساني القائم على عدم الاعتبار والتي لا زال درسها التاريخي يتكرر في الربح والخسارة ﴿**فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى**﴾[2]. حتى لو

---

[1]- سورة الفرقان، الآية ٤٤.

[2]- سورة طه، الآية ١١٧.

كانت هذه الجنة هي جنة المأوى وليست جنة الخلود فإن هذه الآية تشير إلى أن الابتعاد عما يتلاءم مع الفطرة والهداية والثبات والاتصال مع ابليس وما يمثّله من شر هو وأمثاله من الضالين إنما يوصل للشقاء والتعاسة في الدارين.. **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾**[1].

يؤكد العلماء والباحثين في علوم القرآن الكريم، أن مفردة القصص الواردة في الآية ترسخ معنى الرؤية التاريخية، التي جاءت في القرآن تتويجاً لتجربة إنسانية وإلهية أكيدة وإلا ما كان القرآن يؤكد معانيها في كثير من سوره وآياته، كقصة وتجربة إنسانية أخلاقية.

ولما كان القصص من بين الأساليب التي استخدمها القرآن كبرنامج تربوي للوصول إلى حال التعقل والتي تمثّل أرقى مراتب الاستخلاف ، سواء في ذلك القضية التاريخية التي تتناول تاريخ الأنبياء والسابقين، أو القصة التي تمثّل في سردها صوراً اجتماعية من واقع الحياة.. أو القضية القصيرة الهادفة والموجهة دون أن تجرح مشاعر من وجهت له فهي تشير إلى موقف خاص أو نموذج بشري. قال تعالى: **﴿فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[2].

وهذا تأكيد على مفهوم التكرار لأجل الإفادة كي يستفيد الإنسان من التجارب الإنسانية التي حصلت.

وهذه دعوة إلى التبصر والتفكّر الذي يمثل درساً لتجربة إنسانية وأخلاقية ودينية.. وهذا ما اتفقت عليه كل الديانات السماوية. **﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾**[3].

وهذه القصص تسهم في إعطاء صورة عن الواقع بكل تفاصيله وأحداثه، إن لم تكن في اغراضها وأهدافها تسعى إلى عرض التاريخ لمجرد عرضه.

وعليه ممكن فهم فلسفة التاريخ في العصر الحديث من خلال ربط قانون السببية في تحليل الأحداث التاريخية ليس بمقياس ما تفرضه الأعراف والقيم الآنية إنما بحسب معطيات كل العصور، ويدل على أن كل شيء يحدث بسبب سواء كان الحدث يتعلّق بالجماد أو النبات أو الحيوان أو بالإنسان أو بالأجرام السماوية. فقانون السببية هو ربط الأسباب بأسبابها والنتائج بمقدماتها.

هذا القانون عام وشامل لكل ما في العالم ولكل ما يحصل للإنسان في الدنيا والآخرة... **﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾**[4]. وفي آية أخرى: **﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾**[1].

---

[1]- سورة يوسف، الآية ١١١.
[2]- سورة الأعراف، الآية ١٧٦.
[3]- سورة الحشر، الآية ٢١.
[4]- سورة البقرة، الآية ١٥١.

- أسلوب الدعوة في الإرشاد:

شمولية الدعوة والإرشاد القرآني ثابتة في كل دين وزمان وفي كل الرسالات بدليل: ﴿**قُولُواْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**...﴾[٢].

هذه الآية تد ل على توحيد الخطاب والهدف وإتمام الحجج مع اتحاد في المطلب والموقف.

فالقرآن قدم للإنسان قضايا الحياة على صورة نماذج مجسدة للأفكار فيها وهذا يستفاد في كل الأزمنة ويربي النفس بالأخلاق القرآنية الموجهة.

لذلك كانت القصة من أرقى الأساليب لتحقيق الهدف التربوي النفسي والأخلاقي من خلال تجارب وخلاصات بشرية واضحة.. وعبر ا يهتدي بها في سيره وسلوكه ويتمثل ذلك في قصة النبي يوسف (ع) الذي أسس لمفهوم التواضع وعدم التكبر والتجبر على الخدم أو من هم دونه في العمل.

وأيضاً يستفاد ذلك من صبر يوسف (ع) وتجرأ زليخة... والمساندة الإلهية ليوسف (ع)، وكيف بين أن من يتّق الله يجعل له مخرجاً.

فإن القرآن الكريم يطرح علينا لأول مرة مسألة السنن والنواميس التي تسير حركة التاريخ وفق منهج الرسول (ﷺ) الذي لا يخطئ وعبر مسالكها المقننة التي ليس إلى الخروج عليها من سبيل لأنها منبثقة من صميم التركيب البشري ومعطياته المحورية الثابتة فطرة وغرائزاً وأخلاقاً وفكراً وعواطف ووجداناً.

فسيالية القرآن وحيويته تخضع لتقلبات الزمان والمكان ويبقى منزّهاً مرشداً موجهاً.

وقد أكدت القصص القرآنية في مفهومها درساً مفاده أن الأمم التي ترتفع فتبلغ أوج التقدم والرقي إنما ترتفع بعد أن تنمي في نفسها صفات خاصة والعكس صحيح.

كذلك يؤكد القرآن الكريم على أن التعامل الأكبر في تقرير مصير الأفراد والأمم والدول هو الإيمان المرتكز على القيم والمعايير الأخلاقية، فالأخلاق هي القانون والمرشد الذي يسير بالبشرية نحو التكامل، ولا سعادة دون أخلاق ولا حتى ازدهار للأمم والمجتمع دون إرشاد وأخلاق وقلب الإرشاد الأخلاق.

لأن الأخلاق والسلوك توأمين بل ومتصلين ببعضهما البعض، لأن الفكر والخلق ينتج عنه سلوكاً إما إيجابياً أو سلبياً وبالتالي يؤثر على حياة الفرد والمجتمع.

---

[١]- سورة الأنفال، الآية ٥٢.

[٢]- سورة البقرة، الآية ١٣٦.

- **القيم هي جوهر الكينونة الإنسانية.**

لأن علاقة النفس بالقيم والتربية الأخلاقية الإنسانية تمتد إلى جوهر هذه النفس وخفاياها وأسرارها فهي تشكل أساساً في بناء الإنسان وتكوينه.

كما أن التربية الأخلاقية تجعل الإنسان إنساناً وبدونها يفقد إنسانيته ويرد إلى أسفل سافلين ويصبح كائناً حيوانياً تسيطر عليه أهواءه وتقوده شهواته فينحطّ فاقداً عنصر تميزه الإنساني الذي وهبه الله إياه سياجاً للأخلاق لا سيما الأخلاق التي نزلت من رحمن رحيم في كتاب عظيم على لسان نبي كريم «**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»[1].

وبدون السياج والحماية الأخلاقية يكون الإنسان عبداً لغرائزه وأهوائه وشهواته التي لا تقوده إلاّ للدمار على المستوى النفسي والاجتماعي، وإذا امتزجت القيم بالأخلاق فالإنسان يحافظ على سلوكه في الحياة، لأن القيم والتربية النفسية الأخلاقية هي التي تزود الإنسان بالطّاقات الفاعلة في الحياة وتبعده عن السلبية.

حيث أن الفاعلين في الحياة هم المتصالحون مع أنفسهم من الداخل الذين تعاملوا مع الخارج بشفافية فهم ولا يعيشون عقد النقص لهذا تواصلهم يكون مستقيماً وفعال.

ومن نظر إلى الوجود بعين إلهية من حيث المبدأ والمنتهى ﴿**إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**﴾[2]، سيرى أن كمال الإنسان ليس بهذا الهيكل الجسماني، وإنما بتسامي الروح في معرفة الحق وتوحيده علماً، والتخلّق بأخلاقه وتوحيده عملاً.

وهذا يعني وجود علاقة وثيقة بين الرؤية الكلية للكون والإنسان وبين التربية؛ فالرؤية الكونية هي التي توضح أي كمال حقيقي ينبغي أن يصل إليه الإنسان... والتربية هي طريق وصول الإنسان إلى ذلك الكمال، فالفلسفة نظر، والتربية عمل، وكل عمل يستند إلى نظر، لأن سلوك الإنسان وليد تفكيره ونتاج عقيدته.

فالتربية تحتاج إلى الفلسفة لأنها بها تحدد الهدف، والفلسفة تحتاج إلى التربية لأنها بها تحقق الهدف.

وتبقى نقطة الارتكاز في التربية الإسلامية من خلال التصور الإسلامي ورؤيته للهوية الإنسانية تمثّل الهدف الأساسي من الدعوة.

والإنسان من وجهة نظر الإسلام هو كائن يتمتّع برصيد داخلي كالعقل والفطرة مجتمعين، وكذلك تعترضه قيود ومحدوديات مختلفة بيئية واجتماعية.

---

[1]- كتاب ميزان الحكمة للكتاب محمد الرشهري، ج١، ص ٨٠٤، مطبعة الإسماعليان، قم، لا ت.
[2]- سورة البقرة، الآية ١٥٦.

ومع ذلك كلّه فالإنسان إذاً رجع لفطرته وجاهد نفسه فإنه يزول اضطرابها وتدرك ذاتها، وعلى أثر هذا الإدراك «الذات» تستطيع النفس بعيداً عن آمرية الهوى وإدراك قبح عملها أو حسن عملها ويستطيع الإنسان حينئذٍ تقويم مسيرته التربويّة.

- خاتمة الفصل الأول:

يقول تعالى في محكم كتابة الكريم: ﴿**فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ**﴾[1].

الإنسان خليفة الله، ومظهر للجمال والجلال الإلهي ومستودع للفيوضات الإلهية له قابلية التكامل والوصول كل بحسب سعيه وجهاده واستعداداته.

فالإرشاد القرآني عام وموجه لكل إنسان إلا أن الاستعداد يختلف من فرد لآخر بحسب الاستعدادات. ﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾[2].

من هذه النفس تكون كل الانطلاقات والتوجهات وبهذا الجهاد يسلك الإنسان طريق الكمال والتكامل.

ومن النماذج القرآنية نأخذ المثل والعبر، وأسوتنا في هذا كلّه سيرة الصالحين والمعصومين.

فمن معينهم ننهل وعلى خطاهم نستطيع السير كي نصل إلى الهدف والغاية.

﴿**يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ**﴾[3].

---

[1]- سورة الحجر، الآية ٢٩.

[2]- سورة فصلت، الآية ٥٣.

[3]- سورة الإنشقاق، الآية ٦.

الفصل الثاني:

الإرشاد التربوي والنفسي

١- قوة النفس والوصول للمعقولات.

٢- خطاب لقمان لابنه.

٣- الاعتدال في العملية التربوية.

- تمهيد:

الإرشاد هو الذي يصوب ويربي نفس الإنسان ويربيه ويجعله بما هو مراقب لنفسه بوعي وإدراك.

فكل نفس بحاجة لإرشاد ورسم مسار وخطّة كي لا يعمل الفرد بشكل عشوائي فهذا الأمر يقلّل من نسبة الوقوع في الخطأ، فتصبح تجارب من تقدم هي الأساس الذي ينطلق منه في صو غ منهج تربوي قيمي أخلاقي للأجيال القادمة.

وبما أن الإنسان يحتاج للغذائين المادي والمعنوي لا بد له من أن يلتفت للجهتين معاً فالمادي يخص الجسد ويؤثر في النفس، والمعنوي يخص النفس ويؤثر في الجسد فإن حاجة الإنسان للتنمية التوجيهية هي حاجة ملحّة ولا يمكن الاستغناء عنها.

الإرشاد هو أصل في التربية الإنسانية النفسية فهو المساعد الأول في السير والسلوك الإنساني والاجتماعي وبناء الشخصية، وهو يرتبط ارتباطاً عضوياً في بناء التفكير، وبناء الفكر يرتبط ببناء الفرد في الأسرة.

- المبحث الأول: قوة النفس والوصول للمعقولات:

إن الفهم الأصيل للأسرة هو الذي يجعلها تقوم بدورها في بناء شخصية الفرد وذلك من خلال بناء ركائز تلك الشخصية هي (النفس، التفكير، الفكر، العلاقات، القدرات، الحكمة...).

لقد أثيرت منذ أيام (ديكارت) في القرن السابع عشر مشكلة فلسفية كبرى؛ هي مشكلة الفكر والبدن، أو بعبارة أخرى مشكلة التفاعل بين القوى النفسية والقوة المادية.

من المعروف علمياً أن الفكر يؤثر في البدن كما يؤثر البدن في الفكر. فلا يكاد الإنسان يخجل من شيء حتى يظهر الاحمرار على وجنتيه، ولا يكتئب لحادثة معينة إلاّ ويظهر عليه آثار الضعف والشحوب إذاً الفكر يتأثّر بالمادة.

يقول (جود) وهو رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس في جامعة لندن: «إن البدن قطعة من المادة ويمتلك خصائص المادة من كتلة وشكل وحجم... ويخضع لقوانين الفيزياء، ونقول عن الفكر أنه غير مادي ومعنى هذا أنه لا ثقل له ولا حجم ولا كتلة وإنه لا يشغل حيزاً ولا يخضع لقوانين الفيزياء[1].

إن اللاشعور لا يعرف التمييز بين الحق والباطل أو بين الصواب والخطأ، لأن هذا من شأن العقل الظاهر أن يعرفه، فالعقل الباطن هو عقل اليقين والحقيقة بينما العقل الظاهر هو عقل الشك والبحث... فخوارق اللاشعور إذن لا تدل على صحة العقيدة بقدر ما تدل على قوتها في النفس.

يرى «أوليفر لودج»، العالم الطبيعي المعروف؛ أن الصلاة والدعاء والعبادة لهم فائدة كبيرة، وهو يفند آراء المنكرين الذين يرون أن الدعاء لغواً لا فائدة معنوية منه ولا قدرة له على تغيير ما في الكون من قوانين طبيعة، فيقول عنهم: «إنهم يتصورون أنفسهم كأنهم شيء منعزل عن الكون وخارج منه يعمل فيه من ظاهره ويحاول أو يبدل مظاهره بالابتهال إلى نظام في القوة المسيرة»[2].

وبالنظر إلى مكونات النفس يمكن التعرف إلى قواها جيداً فيحصل الإدراك، ذلك أن الإنسان خليفة الله ولديه كل القابليات التي تحقق له الانتماء إلى النظام الكوني المتّصل بالموحد سبحانه.

فحاجات الإنسان ورغباته هي هدي ة وهبة من الإرادة المسيطرة الهادية ولا تمنع حركة العقل في تحصيل الأثر الفعال إذا سار به، لها أثراً فاعلاً إذ أسرنا وفقاً لقوانين صادمة وجلية في هذا الكون.

---

[1]- الوردي، علي، خوارق اللاشعور (أسرار الشخصية الناجحة)، دار الوراق، بيروت، ط٦، ص ١٨٢.
[2]- م. ن، ص ١٨٦.

تتأثّر النفس البشرية بما حولها من عالم المادة الخارجية تأثّراً لا شعورياً، وهو ما يسميه الإرشاد بالعدوة السلوكية مثلاً أو بالتأثر والتأثير.

فالنفس مثلاً تؤثّر في مادة بدنها وتتأثّر به، لكن هل تؤثّر في المادة الخارجية بمثل ما تتأثر بها؟

من الملاحظ أن هذا الإشكال قد شغل عمل المفكرين منذ زمن بعيد، وهذا ما يقال ويحكى به تعابير السحرة على تحريك المادة من بعيد... وبات الشرق يعرف عن قدرة التأثير أكثر من الغرب.

وقد ظهر في الغرب مؤخراً نفر من السحرة أثاروا دهشة الناس وأهم هؤلاء: (هوم) الاسكتلندي، (بلادينو) الإيطالية، و(هوديني) الأميركي[١].

ولقد أوفدت جامعة هارفرد أساتذة أربعة لاختبار افاعيل السحرة... فثبت لديهم بعد عدة اختبارات أنهم لم يخدعوهم، وأن المادة فعلاً تأثرت بهم وكانت طوعاً لهم ولإرادتهم.

إن قوة النفس تستطيع بواسطة العقيدة أن تؤثّر في البدن تأثيراً كبيراً، ويمكن القول بأن للنفس تأثيراً كبيراً في المادة الخارجية[٢].

مثال على ذلك؛ الأبواب التي تفتح من تلقاء نفسها حالما ترى قادماً متوجه نحوها، التأثير البسيط الذي يحدثه ظل القادم على جهاز العين (الكهربانورية) الموجودة في الباب والذي يؤدي إلى فتح التيار الكهربائي ثم لفتح الباب.

فمعظم الناس يعتقدون بأن هواجس النفس وخوالجها لا تؤثر في الأشياء الخارجية تأثيراً محسوساً... فهم يتشاءمون ويتفاءلون، ويحزنون ويفرحون غير مدركين بأن هذه الانفعالات النفسية قد تؤثر في الأحياء والجمادات المحيطة قليلاً أو كثيراً بحسب التأثُر وقوته.

ولعل الكثير ممن يؤمنون بالحظ السيء وقعوا تحت تأثير النظرة السلبية ومواجهة سوء الحظ، ولم يمتثلوا للإرشاد الإلهي في القرآن والذي نهى عن التطير والتشاؤم، فمن تفاءل وجد الخير ينتظره... وبهذا فإن نسبة الأمور السيئة التي تحدث للمتشائمين أكثر بكثير من نسبتها على غيرهم من المتفائلين.

وبهذا يقال: «إن الإنسان يستطيع بقواه الشخصية والنفسية أن يتحدى الصدفة ويغالبها»، حيث دأ ب الناس في العصر الحديث أن يجعلوا مفهوم الحظ مرادفاً لمفهوم الصدفة فسموها (Chance)، ولقد عربوا هذه الكلمة وسموها (شانص) واستعملوها في التجارة والتعليم والعمل[٣].

---

[١]- صروف، فؤاد، رسائل الأرواح، جامعة مصر - القاهرة، ط١، ١٩٢٨م، ص ٩٣-٩٤.

[٢]- م. ن، ص ١٦٦.

[٣]- الوردي، علي، خوارق اللاشعور، م.س، ص ١٩٦.

وفي الحقيقة أن الصدفة وحدها لا تكفي لتفسير الحظ، فللقوى النفسية أثر لا يستهان به في تكوين الفرصة سلباً أو أيجاباً، فإن القوة النفسية لا تؤثّر فقط في سير الأمور بل هي التي تستطيع أن تكون محفّزة للعقل والتفكير وتغالب الصدفة وتنافسها بحدسها.

إذاً فإن المتفائل يضع الحظ الحسن بصفاء ذهنه وثقته بنفسه وبنجاحه ومجهوده، فيؤثّر في الأمور ويوجهها لمصلحته وما يعجز عنه بالتفاؤل يعالجه عن طريق العقل والتفكير ويمشي خطوة بخطوة نحو النجاح بالمزج بين التفاؤل والتعقل (العقل والتوكل – مع السعي).

فإذا توهم الإنسان شيئاً واعتقد بوجوده كان بحكم الموجود في ترتب آثاره عليه مثل معالجة الذي يخاف من شيء غير موجود لكن آثاره مو جودة وتجعله معقولاً عنده، وهذا في عالم الإرشاد مفيداً جداً في العلاج وتعديل السلوك.

كما أن قوى النفس وما يتولّد عنها من فضائل؛ فإنها تؤثّر في عمل العقل وتعديل السلوك فالقوة التي بها يكون الغضب والنّجدة، والأقدام على الأهوال، والشوق إلى التسلّط، والترفّع وضروب الكرامات، والقوة التي بها تكون الشهوة وطلب الغذاء والشوق إلى الملاذات التي في المآكل والمشارب والمناكح، وشروب اللذات الحسية وهذه الثلاث متباينة..[1].

ويعلم من ذلك أن بعضها إذا قوي أضر بالآخر، وهذا يتأثّر بالمزاج أو العادة أو التأديب. «فالقوة الناطقة» هي التي تسمى الملكية، وآلتها التي تستعملها من البدن الدماغ. «والقوة الشهوية» هي التي تسمى بالبهيمية، وآلتها التي تستعملها من البدن الكبد.

«والقوة الغضبية» هي التي تسمى السبعية وآلتها التي تستعملها من البدن القلب، فلذلك وجب أن يكون عدد الفضائل بحسب إعداد هذه القوى، وكذلك أضدادها التي هي رذائل، حيث اجمع الحكماء أن أجناس الفضائل أربعة وهي:

١ – الحكمة

٢ – العفة.

٣ – الشجاعة.

٤ – العدالة.

وأضداد هذه الفضائل أربع وهي:

١ – الجهل.

٢ – الشره.

٣ – الجبن.

٤ – الجور.

---

[1]- ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، باب قوى النفس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، ص ١٨.

وتحت كل واحدة من هذه الأصناف أنواع كثيرة فهي بلا نهاية.

على مر العصور والسنين ومن خلال التجارب الحياتية يتضح أن الإنسان بطبعه اجتماعياً، ولا يفضل العيش إلا في مجتمع وهذا ما يميزه عن كثير من المخلوقات. وهذا يبنى عليه أن اكتساب أي سلوك أو أي تأثر وتأثير لن يكون له قيمة على صعيد النفس والإنسان ككل إلاّ إذا تبين بعد معاشرة الفرد في مجتمعه أو في بيئة مدنية وعليه تبنى مسارات مجاهدة النفس والهوى وسير الفرد وطريقة تصرفاته، وحينئذ تظهر عليه الفضائل والرذائل من خلال المعاملة والمعاشرة والاحتكاك بمن هم مثله من أفراد مجتمعة.

وبهذا يكون للفرد الفضل في مجاهدة نفسه والتركيز على تنمية الفضائل الذاتية وترك الرذائل أو على الأقل أن يكون وسطياً في سلوكه لا يجنح نحو الرذيلة كل الجنوح ولا يرقى بالفضيلة إلى أعلى مراتبها فيبقى متوازناً ومجاهداً إلى حين يستطيع الوصول إلى هدفه المرجو.

وعليه فإن مقولة «الطبع يغلب التطبع»، لا يمكن التسليم بها كقاعدة لأن القصد منها أن الإنسان مهما جاهد نفسه لن يصل فهذا خطأ فالكثيرين وصلوا.

وإن كان المقصود أن الإنسان مهما جاهد نفسه فإن إمكانية تعديل السلوك صعبة التحصيل والأصل هو غلبة السلوك السابق كذلك فإن لكل فضيلة وسطية وأن الإنسان يملك الاستغفار والرجوع عن الخطأ، وهذا لا يساعد الإنسان على التخلّص من الأخطاء بحيث يستمر في السقوط أي إذا سلّم لمقولة الطبع والتطبع ، وعليه فإن اعتماد هذه المقولة لا يسهم إلاّ في الاستسلام للشيء، وتعطيل معالجة السلوك.

- إشراق النفس وتدخل العقل:

يقول أفلاطون: «إن العدالة إذا حصلت للإنسا ن أشرق بها كل واحد من أجزاء النفس من كل واحد منها، وذلك بحصول فضائلها أجمع فيه، فحينئذ تنهض النفس فتؤدي فعلها الخاص بها على أفضل ما يكون، وهو غاية قرب الإنسان السعيد من الإله تقدّس اسمه»[1]..

والفضائل التي هي وسط بين الرذائل وهي غايات ونهايات، وذلك أن الوسط ها هنا نهاية لها من كل جهة، فهو في غاية البعد منها، ولذلك متى بعد من الوسط زيادة بعد قرب من الرذيلة ، فقط تبين أن الفضائل اعتدالات وأن العدالة اسم يشملها ويعمها كلها، وأن الشريعة لما كانت تقدر الأفعال الإرادية التي تقع بالرؤية والوضع الإلهي، صار المتمسك بها في معاملاته عادلاً والمخالف لها جائراً؛ فلهذا إن العدالة لقب للمتمسك بالشريعة، إلا أنا قد قبلنا مع ذلك إنها

---

[1]- ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، م. س، ص٦٨.

هيئة نفسانية تصدر عنها الفضيلة، فتصور هذه الهيئة النفسانية، وعندها ستتضح الرؤية ويبين بأن صاحبها ينقاد لا محالة للشريعة طوعاً ولا يضادها بنوع من أنواع التضاد[1].

وأرسطو هنا ليس يشبه من كان كذلك بمن يجذب من جهات كثيرة فيتقطع وينشق بحسب تلك الجهات وقواها.. وهذا التشبيه ذُكر في قوله تعالى: **﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾**[2].

ويقول أرسطو طاليس لا ينظّم هذه الكثرة التي ركب الإنسان منها إلاّ الرئيس الواحد الموهوب له من الفطرة أعين العقل الذي به تميز من البهائم، وهو خليفة الله عزوجل عنده، فإن هذه القوى كلّها أساسها العقل فإذا انتظمت وزال عنها سوء النظام الذي يحدث من الكثرة، فإذا تم للإنسان ذلك بمعنى أن يعدل على نفسه وأحرز هذه الفضيلة فقد لزمه أن يعدل مع أصدقائه وأهله وعشيرته، ثم أن يستعمله في الأباعد وسائر الحيوان، وإذ قد صح ذلك وظهر ظهوراً حسياً فقد ظهر بظهوره أن شر الناس من جار على نفسه ثم على أصدقائه وعشيرته، ثم على كافة الناس والحيوان، لأن العلم بأحد الضدين هو العلم بالضد الآخر، فخير الناس العادل وشرهم الجائر كما بين ذلك[3].

ولعل كل هذا يبين أهمية جهاد النفس والأخذ من كل قوة ما يحتاجه مع إرجاع الأمور للحاكم الأول وهو العقل، وهنا لا بد من ذكر الحديث الوارد في المحاسن عن الإمام علي بن أبي طالب (ع)، عن هشام، قال: قال ابو عبد الله (ع): «لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إلي منك، بك آخذ، وبك أعطي، وعليك أثيب..» [4]..

فالعقل هو الحاكم، وهو سيد الجوارح، والمنظّم للقوى النفسية والإنسان الفاقد للعقل مرفوع عنه القلم.

- وسطية الفضائل في قوى النّفس:

يتبين أن الفضائل هي وسطية بين رذائل بمعنى آخر أن الفضيلة هي وسط بين رذيلتين، وهذا ما يشرح صعوبة التمسك بهذا الوسط (أي الحفاظ على وسطية الأمور وحاجات النفس ضمن المراقبة العقلية والإلهية..) وذلك فإن دواعي الشر في المجتمع أكثر من دواعي الخير.

---

[1]- ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، م. س، ص ٩٠.
[2]- سورة إبراهيم، الآية ١٨.
[3]- ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، ص ٩٠.
[4]- كتاب بحار الأوار، للكاتب العلامة المجلس، ج١، ص ٩٧.

لذا تعين على الإنسان العاقل أن يعلم ويتعلم الفضائل الإنسانية التي يساكن ويخالط بها الناس بحيث يحصل خُلقاً تصدر عنه الأفعال كلّها جميلة من جهة، ويحظى برضى الباري سبحانه من خلال التخلّق بهذه الأخلاق التي هي عنوان الاستخلاف في الأرض من جهة أخرى.

وأما ما قام بتفصيله ابن مسكويه في المقالة الثانية من كتابه شرح مسألة الأخلاق والطبائع من خلال تعريفه بأن الخلق هو حالة للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير فكر ولا رؤية وقام بتقسيمه إلى قسمين: ما يكون طبيعياً من أصل المزاج، وما يكون مستفاداً بالعادة والتدريب.

وعن اختلاف القدماء في الخُلق قال بعضهم: من كان له خلق طبيعي أي (بالطبع) لم ينتقل عنه، في حين قال آخرون: ليس شيء من الأخلاق طبيعياً للإنسان بل مخلوق له القابلية، على قبول الخلق: إما سريعاً وإما بطئياً وهذا ما عبر عنه بفطرة الله التي فطر الناس عليها، ولقد تبنى ابن مسكويه الرأي الثاني وعضد رأيه وقوله بما قاله جالنيوس وبرهنه أرسطو من خلال القياس الـ تالي: كل خُلق يمكن تغييره، ولا شيء مما يمكن تغييره بالطبع. فإذاً لا خلق ولا واحد منه بالطبع وهذا القياس من الشكل الأول في المنطق.

وللتأكيد الإضافي على صحة ما تبناه ابن مسكويه ساق دليل أخلاق الأحداث (الأطفال) حيث قال: إنه يمكن ملاحظة هذا التفاوت في قبوله الأخلاق عند الأطفال، فإذا أهملت الطفل ولم تأدبه نشأ على سوء طبيعته وبقي عمره كلّه على الحال التي كان عليها في الطفولة من الطباع المذمومة[1].

واعتبر أن الشريعة وليست الأعراف هي التي تقوم الأحداث وتعودهم الأفعال المرضية وتهيء نفوسهم لقبول الحكمة وطلب الفضائل، وأشار إلى ضرورة سلوك المنهج الطبيعي في سياقه وترتيب الآداب أي العمل على تقويم الأحداث وفق النظام الذي يتناسب مع تنافي قواهم بشكل تدريجي وبما يتناسب مع مراحل أعمارهم يسمى بالتربية الفعالة في عالم الإرشاد وتدريب أولياء الأمور عليها.

وعلى هذا الأساس أعاد مسكويه التأكيد على أن صناعة الأخلاق هي أفضل الصناعات لأنها تعني بتجويد أفعال الإنسان بما هو إنسان.

وبما أن الإنسان هو الوحيد بين المخلوقات الذي له ضروب الاستعداد لقبول الآداب، وأن لكل جوهر موجود كمالاً خاصاً به. فنحن مضطّرون إلى أن نعرف الكمال الخاص بالإنسان من حيث هو إنسان لنحرص على طلبه، إذ أمكن معرفة الأفضل فقد عرف الأنقص على اعتبار الضد... وعليه يقول ابن مسكويه: «إن الكمال الخاص بالإنسان كمالان: أحدهما القوة العالمية، والأخرى القوة العاملة، والحاكم فيها العقل، وإلا سيكون عمل النفس شاق جداً»[2].

---

[1]- ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، م. س، ص ٧٠-٧١.

[2]- ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، م. س، ص ٨٠..

- دور الأسرة في الإرشاد:

الأسرة هي المنبع الطبيعي والفطري في تغذية وبناء الشخصية، والتعامل مع الواقع الخارجي، فإذا لم تستطع الأسرة بناء أسس التعامل مع الحياة القائمة على الاعتدال والاستقرار والأمن وتنير الطريق المظلم للفرد وإذا اختلت القاعدة حينئذ يبرز في المجتمع أفراد يطغى جانب من حياتهم على الجوانب الأخرى ولا تعد حياتهم متوازنة.

عندما طغت على الإنسان حالات من الفردية وحب الذات والأنانية ما دفعه إلى التمرد على الواقع بحيث لا يرتدع عن تجاوز صلاحي اته في انتهاك حقوق الآخرين عندها لا يجب أن ينظر إلى المشكلة بالحال، بل يجب رصد التداعيات والظروف السابقة والحالية التي أسهمت في خلق هذا النوع من المشاكل.

ويجب على التربويين أو الأهل كرسالين أن يعالجوا جذور المشكلة والتي من أبرزها علاج بناء الاسرة وأصول التربية للوقوف عند الحال التي وصلت إليها ثم معالجة النتائج بهدوء.

كيف يكون التحصين؟ ما هي أساليب التربية التي تعامل بها النبي (ﷺ) مع الحسنين(ع)؟ وما هو أسلوب النصح في خطاب لقمان الحكيم؟.

ما نراه اليوم في عالمنا أن هم الاسرة الأكبر هو الاهتمام بالمأكل والملبس وتحصيل الأمور المادية... أما في الجانب التربوي، فإنه يعتني بها كأصل من أصول البناء النفسي والشخصي عند الفرد، بحيث يعمل على أن تكون شخصية الفرد السوية متزنة، من حيث الغذاء العاطفي، الاعتناء بالقيم والفضائل فهو نادراً ما يؤخذ كأصل وأساس في التربية.

أ- الانتماء الأسري:

الانتماء الأسري مهم جداً ويعطي للفرد هويته الشخصية الحقيقية.. ففي الحالات التي لا ينتمي فيها الفرد إلى أسرته بسبب رفض الأهل لوجود الأبناء، وهذا الرفض يكّون نتيجة سلوك الفرد السيء، بحيث أنه لم يتلق التوجيه والرعاية الحقيقية من قبل الأسرة، بل أصبح تكرار هذا السلوك بنظر المتربي من الفضائل لأنهم لم يفصلوا في معاملتهم بين السلوك والفاعل، ولم يصوبوا السلوك عندها تتكون لدى الفرد حالة نكران للذات وعدم الرضى عن النفس، بل وجلد ذاته.

وقد نهى الإمام علي (ع) مربي الأئمة (ع) عن ذلك السلوك الذي يخالف ويعارض فطرة الإنسان وبين أن أساس الارتباط عضوي ذاتي وجداني وذلك عندما خاطب الإمام الحسين(ع)

قائلاً: « بل وجدتك كلي حتى كأن شيئاً لو أصابك أصابني وكأن الموت لو أتاك أتاني فعناني من ما يغنيني عن أمر نفسي»[1].

وكأن الإمام يحمل الإمام الحسن (ع) بوجه خاص أو ابناءه بوجه عام أنهم يمثّلوه (عليه السلام) في وجودهم ولم يفصل بين وجود نفسه ووجودهم بل أشار إلى اللُحمة ووحدة التألّم إن اصابه مكروه، ووحدة الإحساس حتى وهذا بحدّ ذاته يشعر الفرد بالمسؤولية والعطف والرحمة عندها يصبح من الصعب عليه الوقوع في الخطأ لأنه يعلَم أنه مع والده في خندقٍ واحد مهما حصل.

ب- القرب والانتماء:

عندما يشعر الفرد بالقرب والانتماء يتقبل التوجيه والنصح.. وعناية الأسرة وخاصة دور الأم العاطفي ودور الأب السند والقدوة والأمان كل هذا يخلق أجواء يسودها الحنان والاهتمام المتبادل والتوازن العاطفي الذي هو أساس في عالم التربية.

رسول الله (ﷺ) المربي الأول كان يحمل السبطين الحسن والحسين (عليهما السلام) ويقول (ﷺ):« **هذا ابناي وابنا ابنتي، اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحبب من يحبهما...**»[2].

الدافع الأول في التربية هو المحبة وبدون الحب يستحيل على المربي تحمل مشقّات التربية، والطفل لا يتربى إلاّ في بيئة أسرية عاطفية تسودها الحكمة والمعرفة.

وتشير الآيات الكريمة إلى تجلي الحكمة والوعي عند لقمان الحكيم، تمثّل خطاباً عالمياً تربوياً لابنه وهو يعظه بكلمات لينة تحاكي القلب والروح.

﴿وإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنه وهُوَ يعظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ باللَّه إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظيمٌ * ووصَّينَا الإِنسانَ بوالديه حملَتْهُ أُمُّه وهْنًا علَى وهْنٍ وفصالُهُ في عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لي ولوالديكَ إِلَيَّ الْمصيرُ * وإِنْ جاهداكَ علَى أَنْ تُشْرِكَ بي ما لَيْسَ لَكَ به علْمٌ فَلا تُطعْهُما وصاحبْهُما في الدُّنْيا معروفًا واتَّبعْ سبيلَ من أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مرجعُكُم فَأُنَبِّئُكُم بما كُنتُم تعملُونَ * يا بُنَيَّ إِنَّها إِن تَكُ مثْقَالَ حبَّةٍ منْ خَرْدَلٍ فَتَكُن في صخْرَةٍ أَوْ في السَّماوَاتِ أَوْ في الأَرْضِ يأْتِ بها اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطيفٌ خَبيرٌ * يا بُنَيَّ أَقمِ الصَّلاةَ وأْمُرْ بالْمعْرُوفِ وانْهَ عَنِ الْمنكَرِ واصبرْ علَى ما أَصابَكَ إِنَّ ذَلكَ منْ عَزْمِ الأُمُورِ * ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاسِ ولا تَمْشِ في الأَرْضِ مرحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحبُّ كُلَّ مخْتَالٍ فَخُورٍ * واقْصِدْ في مشْيكَ واغْضُضْ منْ صوْتكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْواتِ لَصوْتُ الْحَميرِ﴾[3].

---

[1]- نهج البلاغة (خطب الإمام علي (ع) شرح الشيخ محمد عبده، قم دار الذخائر، طبعة أولى، ١٤١٢هـ، ١٣٧٠م، ج٣، ص ٣٧، خطبة رقم ٣١، بعد عودته من صفين.

[2]- بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٣٧، ص ٧٤.

[3]- سورة لقمان، الآيات من ١٣- ١٩.

ففي تفسير الميزان عن النبي (ﷺ) أنه قال: « حقاً اقول: لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكر، حسن اليقين، أحب الله فأحبه ومن عليه بالحكمة»[1].

فالمربي يجب أن يكون عنده حكمة وتوازن في الموقف والتصرف والتفكير، ولقمان كان حكيماً وكثير التفكير لذا كانت موعظته ووصياه بليغة ومهمة.

فقد حدد لقمان نوع العلاقة بين المخلوق والخالق وبين المربي والمتربي وبين الإنسان وعمله وطريقة سلوكه في الحياة، فكانت أولى مواعظه عن مسألة التوحيد ومحاربة الشرك، والثانية عن حساب الأعمال والمعاد، وكأنها تحاكي بأن أعمال المرء مقرونة بمحاسبة ونتائج مستوى التوحيد عنده.

مبيناً أن عمل الإنسان لا يضيع أبداً ويقدَّر مهما كان صغيراً مقارنة بأصغر ما هو موجود وهي حبة الخردل[2].

وتوجيه لقمان لابنه وتحديد كل ما يجب أن يراعيه في حركته في الدنيا، هو لتعريفه بمدى الرقابة الإلهية على أعمال الإنسان وعلمه بها، مؤسساً على ذلك كل الإصلاحات الفردية والاجتماعية المحركة نحو الخيرات، وسدّ منابع الشرور والسيئات.. بمعنى بناء قواعد لتربية سلوكية دقيقة فيها مراقبة حسية تتمثل بالقوّة والطّاقة الفاعلة.

وهذا إشارة إلى أن تربية الفرد على نمط المراقبة الصامتة لنفسه وتأسيس علاقة مع خالقه تجعله مسؤولاً عن أفعاله، فتصبح عندها قدرة الرقابة أوسع ما يمكنه من تجنب الكثير من الأمور الخطرة التي كان من الممكن مواجهتها.

- اقتران التربية بالتوعية والمراقبة:

تطرق لقمان الحكيم في وصاياه إلى أهم الأعمال، وهي مسألة الصلاة فقال ﴿**يا بنَيَّ أقمِ الصَّلاةَ**﴾[3] لأن الصلاة أهم علاقة وارتباط مع الخالق، فهي تنير القلب (الذي هو سيد الجوارح) وتصفي الروح، وتضيء الحياة وتطهر الأرواح من آثار الذنب وتقذف نور الإيمان في أنحاء الوجود الإنساني فتمنعه عن الفحشاء والمنكر. فالصلاة تعالج النفس لأنها دائماً متصلة بالغني المطلق فتشعر بأن لها ملجأً لا يتخلّى عنها مهما حصل.

ثم تطرق لقمان إلى أهم دستور اجتماعي وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

---

[1]- الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، م. س، ج١٦، ص ٢٢١.

[2]- كتاب مختصر الأمثل، الجزء ٤، للكاتب الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار جواد الأئمة، ص ١٤، بيروت، ت ط ٢٠٠٧م.

[3]- سورة لقمان، الآية ١٧.

ومن دلالات هذا الأمر أنه من يأمر بالمعروف قد يكون متأثراً بهذا الأمر وناهي النّفس الأمارة عنها، ثم أن النّاهي عن المنكر يكون قد أدّب نفسه مسبقاً.. بحيث يكون التأديب أمر ينتقل عبر تقبل سلوك الآخر ومحبته لآثاره الجيدة لهذا كانت مسؤولية التأديب تبدأ من المؤدب فتؤثر بالآخر. (هذا لأننا نعتبر أن الإنسان يتأثر كما يؤثر).

هذه الوصاية العلمية القيمية، ما هي إلاّ تأسيس نفسي تربوي على التزام الفرد بمفردات الصبر والاستقامة، والتي هي من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فالصبر هو الركيزة الأولى في عالم التربية.

ومن لم يعمل على تحصيل الصبر بالعلم والمعرفة لا يستطيع أن يتحمل مسؤولية التربية الصعبة ولا حتى التربية الشخصية الذاتية لنفسه.

ثم بين لقمان أن حقيقة الالتزام بهذه الأمور ما هي إلاّ تعبير عن تحصيل العزم والإرادة القوية. ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمورِ﴾[1]، بمعنى أن هذه الأفعال التي أمر الله بها لا تحصل إلا بإرادة فولاذية وتصميما راسخا من قبل العامل بها.

وبعدها انتقل لقمان إلى المسائل الأخلاقية المرتبطة بالناس والنفس، فهو يؤكد أولاً على مسألة التواضع وعدم التكبر، ويشير إلى آفة أن يعرِض بوجهه عن الناس.

وهو بذلك يبعده عن مرض نفسي خطير وهو (النرجسية)[*] وما يصدر عنه من (الأنانية) و(التكبر) والغرور.

لقمان الحكيم يشير إلى صفتين مذمومتين جداً وهما أساساً في توهين وقطع الروابط الاجتماعية الصميمية: إحداهما (التكبر) وعدم مراعاة الآخرين، والأخرى (الغرور والعجب بالنفس)، وهذه الآفات تقطع على الإنسان سبل العلاقة مع الآخرين، فيعيش في عزلة ووهم دائمين.

ولكن في كل هذا نرى لقمان شفيقاً بابنه يخاطبه بلغة يا بني ترقيقاً لقلب ولده وحنوا منه عليه، ويظهر له بأنه من شدة اهتمامه وحرصه على ولده يوصيه ويعلّمه بلغة الموجه الخائف على مصيره كونه الإنسان الذي يوجه إليه أصول التربية (المتربي). أما إذا كان الخطاب الموجه للمتربي بلغة النقد والشر ط لا يمكن أن يستجيب أبداً بل ينفر من الأمر ولا يسمع حتى.

أما لغة الحب والبرهان والربح والتشجيع ترسم خط تواصل جميل بين الأب والابن وبين الأم وأبناءها، وبين المعلم والمتعلمين وفي كل مكان يتلقى فيه الإنسان التربية.

---

[1]- سورة لقمان، الآية ١٧.

* - النرجسيّة: أي حب النفس لدرجة مبالغ بها – الإعجاب بالنفس بدرجة عالية- أنانيّة مفرطة – إحساس دائم بالعظمة – غير مستمرة- وصوليين- لا يحافظون على صداقاتهم.

ثم بين لقمان في آية المشّي أمرين سلوكيين أخلاقيين إيجابيين في مقابل النهي عن سلوكين سلبيين فيقول: «ابتغ الاعتدال في مشيك، وابتغ الاعتدال كذلك في كلامك ولا ترفع صوتك عالياً..»[1]. رعاية الاعتدال في العمل والكلام والصوت هو من باب المثال في الحقيقة.

والحق أن الإنسان الذي يتبع هذه الصفات والنصائح الأربعة يحصل بذلك السعادة والتوفيق فيكون محبوباً بين الناس، وعزيزاً عند الله، وفي الكافي عن الإمام الصادق (ع)، قال رسول الله (ﷺ): «أكثر ما تلج به أمتي الجنة تقوى الله وحسن الخلق»[2].

لما عرفنا أن الحياة الحقيقية للإنسان تتو قف على تهذيب الأخلاق بالمعالجات المقررة في هذه الصناعة... وإلى ذلك يشير قول سيد الرسل: «إني وزنت بأمتي فرجحت بهم»[3].

بالأخلاق تعرج الإنسانية من حضيض البهيمية إلى ذرى الرتب الملكية.

كما أن البدن الذي ليس بالنقي كلما غذوته فقد زدته شراً، فكذلك النفس التي ليست نقية عن ذمائم الأخلاق لا يزيدها تعلّم العلوم إلا فساداً.

حياة كل فرد بحاجة للشعور بالأمان والرعاية والاهتمام، وهناك فرق كبير بين الوالدة والأم وبين الوالد والأب المربي فالرعاية غير التربية[4].

الرعاية: هي أن يبقى الفرد على قيد الحياة بكل مساوءه وآلامه وأفراحه، أما التربية تكون مسؤولة وليست مثالية.

لا شك أن الاهتمام حاجة أساسية إلاّ أن الغذاء العاطفي من قبيل الاحتضان للمتربي ومحاورته وترك المجالات له للتعبير عن ما يدور في نفسه له آثار إيجابية في تحصين الفرد في الانعزال بحيث يخرج إلى المجتمع بصحة نفسية سليمة فستكون صحته الجسدية بخير لأن الجسد يتأثر بالنفس والعكس صحيح.

فالمترب ي يأخذ مخزونه العاطفي من أبويه وبالتالي يشكّل تصوره عن ذاته من خلال خطاب أهله له حينئذ يحكم على نفسه إما بالرضى أو بالرفض لذاته.

ف حالات الكبت النفسي الفصام والرفض الذاتي وضياع الهوية النفسية للفرد وغيرها من الأمراض النفسية الصعبة التي يرجع السبب فيها إلى سوء التربية.

أحياناً يكون هذا الأمر عن تقصير وأحياناً عن قصور لهذا على المربين أن يحصلوا الثقافة الأسرية والثقافة الدينية قبل التوجه إلى عالم التربية من أي موقع كان، لأن صناعة الإنسان أمانة وليست بالأمر السهل.

---

[1]- مكارم الشيرازي مختصر الأمثل، م. س، ص ١٧.

[2]- النراقي، جامع السعادات، م. س، ص ٤٠.

[3]- أحمد بن حنبل: ٤٨٣/١، ح ٢٦٧١، صحيح البخاري: ٣٩/١، و ج ٨٥/٤، وج ١١/٦، مركز الأبحاث العقائدية، ص ١٣٩، تاريخ الزيارة ٥-٩-٢٠١٩.

[4]- كتاب الإدارة النفسية للأطفال، يونس جانيت، ط ٢٠٠٦، بيروت، الناشر مختارات.

وعليه فإن لقمان الحكيم يدقّ ق في خطابه لابنه خائفاً عليه مؤكداً وصاياه كي لا تتسرب روح ولده إلى ما لا يحمد عقباه.

الفرد منذ البداية يكون صورته الإيجابية من خلال بيئته الأسريـة ثم النفسية فيكون متصالحاً مع نفسه ويترجم هذا بسلوكه في بيئته الصفية والاجتماعية ولكل فرد أثناء التربية استعدادات وقدرات متفاوتة بين الأفراد كل بحسب قابليتّه وموقعه وبيئته.

- الاعتدال في التربية:

تعتبر التربية إحدى فروع العلوم التربوية التي تركّز على إعداد وتربية الإنسان إعداداً يشتمل على جميع جوانب حياته، ووفق منظور مرجعية القرآن الكريم وأحاديث النبي (ﷺ) وآل البيت (عليهم السلام).

على الرغم من عدم ورود مصطلح التربية الإسلامية في تراثنا القديم، إلا أن الكثير من المصطلحات التي ذكرها القرآن الكريم وذكرتها الأحاديث أو جاءت في كتب التربويين قديماً تشير إلى أهمية هذا العالم، وخلاصة كل هذا يدور حول تنشئة ورعاية النفس البشرية وإعدادها، والعمل على تزكيتها وإصلاحها وتهذيبها، وتقديم الإرشاد والنصح لها، والعمل على تنميتها وتعليمها بما يحقّق التكيف المطلوب، والتفاعل الإيجابي لتلك النفس الإنسانية مع المحيط والبيئة والتكاليف.

فالتربية الربانية هي الفاعلة في تعديل السلوك الإنساني، لأن الخالق سبحانه أعلم بمخلوقاته وأعلم بمفاتيح فطرة الإنسان، وما يكون فيها من علاج ودواء لأنه الصانع الموجد.

فالمطالب الإلهية التربوية ربانية المصدر والغاية: **﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾**[1].

والحقل التربوي حتى يعتدل ويستقيم في دوره الوظيفي لا بد من تقسيمه إلى عدة أقسام تراعي كل مناحي الحياة الإنسانية، وهذه الأقسام هي:

١- **التربية الشمولية:** هي التي تتطرق إلى حياة الفرد الخاصة والعامة، كما تتعلق بحياته الدنيوية والأخروية، وكذلك تشمل علاقة الأفراد في المجتمع وفي مجتمعات أخرى.

٢- **التربية المتكاملة:** هي التي تعالج جميع جوانب الحياة الإنسانية، الأخلاقية، الاقتصادية، والسياسية، كما تتطرق التربية إلى جوانب العقيدة المتكاملة والعبادة والسلوك الفردي والاجتماعي.

٣- **التربية الوسطية:** هي التربية وفق منهج القسط والاعتدال فلا تفريط ولا مغالاة، وهذا يتمثل في منظومة التربية القرآنية التي تراعي جميع متطلبات الإنسان وحاجاته الجسدية والروحية بشكل متوازن بدون طغيان حاجة على أخرى، فمثلاً هي تنهي عن البخل لأنه تقصير في حق النفس والآخرين، وتنهي عن التبذير لأنه خلل في الإنفاق فقال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾**[2].

ذلك أن التوسط والاعتدال في التربية، هو الذي يصون عن الإفراط والتفريط، بحيث يأخذ بالأمر المشروع من غير زيادة ولا نقصان.

---

[1]- سورة الفرقان، الآية ٦٧.

[2]- سورة الإسراء، الآية ٨٢.

أما الوسط فهو العدل والخيار، وهو أفضل الأمور وأحسنها وأجملها وأنفعها للناس.
﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[1].

- التربية الواقعية:

تنظر إلى البشر على أنهم مختلفين متنوعين في صفاتهم، فالباري ومن خلال شريعته السمحاء ودينه القويم يدرك ضعف الإنسان أمام المغريات والتكاليف، ويعرف حدود إمكاناته وطاقاته، فلم يفرض عليه أموراً تثقل كاهله، أو يعجز عن أدائها وهذا ما يسمى بالواقعية في عالم الإرشاد **﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾**[2].

مثلاً قدم خياراَت للمتربي وبدائل عندما يكون في موقع الاختيار مبيناً عناصر كل أمر حتى يكون الاختيار بدليل واضح لذلك فإن المربي يختار ويوضح له أهمية خياره أو صعوبته أثناء العملية التربوية يترك نافذة للمتربي كي يتطّلع على مفاهيم[3].

ولا بد في العملية التربوية حتى تحقق أهدافها من التدرج في التوجيه والإرشاد شيئاً فشيئاً مع تأجيل أي تعديل سلوكي للفرد إلى ما بعد مرحلة تحسين العلاقة مع المتربي، شرط أن لا تتجذر هذه المشكلات.

فطبيعة النفس البشري ة تحتاج إلى التقديم والتقريب، كما أنها تحتاج إلى التجربة كي تتغير.

التربية الواقعية تأخذنا إلى نمط التربية المعتدلة التي من أهم أهدافها وضع أصول لحقائق العبودية وجعل العلاقة المتينة بين المخلوق والخالق، لأن الإنسان عندما ينتهي عما نهاه الله عنه ويمتثل لأوامره سبحانه تتغير سلوكياته للأفضل.

فالتخلّق بالأخلاق الحسنة الحميدة (كالصدق، والأمانة، والإخلاص، لا بد من ان يكون اقتداء بالنبي (ﷺ) في أخلاقه التي شهد الله تعالى بها في قوله: **﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾**[4].

إضافة إلى تنمية الشعور بمن حوله فالفرد من خلال التأكيد على الانتماَء لأسرته ومجتمعه: **﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾**[5].

هذا التلاحم أيضاً ينشئ فرداً متصالحاً مع نفسه وبيئته[6]، وأفراد مجتمعه وبالتالي ينعكس عليه هذا التعاون راحة نفسية.. لأن الإنسان بطبيعته كائناً اجتماعياً.

---

[1]- سورة البقرة، الآية ١٤٣.
[2]- سورة البقرة، الآية ٢٨٦.
[3]- التدريب المنتظم للتربية الفعالية: العواقب الطبيعية والمنطقية للسلوك، المادة النظرية والتدريبيّة، (المؤسسة التربوية المركزية لمدارس المهدي (عج) قسم الإرشاد والإعداد.
[4]- سورة القلم، الآية ٤.
[5]- سورة الحجرات، الآية ١٠.
[6]- من المادة التربوية للمؤسسة، مدارس المهدي (عج)، م. س.

أيضاً التربية الواقعية تعمل على توجيه الفرد وصقل مواهبه ورعايته ما يسهم في تحقيق الأثر الإيجابي على سلوكه الخاص والعام.

أيضاً على المربي أن يراعي الصحة الجسدية للمتربي حتى يؤدي الإنسان وظيفته الاستخلافية بشكلها التام والكامل، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا كان الإنسان صاحب بنية جسدية جيدة فلا يؤثّر الوهن ببعض أعضاءه في القيام بالمهام الحياتية والتي تتمثل بخدمة الخلق، ولهذا شجع الإسلام على ممارسة الرياضة بكل أشكالها، حيث أن الرياضة أيضاً تستنفذ الطاقات السلبية من الفرد وتخرجها وبهذا الأمر تعتدل غريزته ويصرف هذه القوة في الرياضة.

أيضاً التربية بالاقتداء مهمة وهي تدل على نمط الاعتدال من قبل المربي للفرد فالإنسان يفتح عينيه وأذنيه وقلبه على ما يشاهده ويسمعه منهما، ولذلك فإن كل الأشياء التي يستقبلها من والديه تنعكس على شخصيته ويتعود عليها وتصبح أصلاً في أخلاقه وشخصيته.

فشخصية الإنسان تشكل بحسب أنماط التربية، والمعروف أن السمات الشخصية للفرد التي يتلقّاها في صغره تتكون خلال الخمس سنوات الأولى والتي يجب أن تتميز بالهدوء وأبعاد الفرد عن كل أسباب العنف ومحاولة إزالة القلق لديه، وهذه الحال قد يهملها الكثير من المربين.

كما أن على الآباء والمربين أن يراعوا النمو العقلي لدى الطفل خاصة في سن السابعة (وهو سن اكتمال النمو العقلي) حيث يكون أكثر إدراكاً لما يرى ويسمع.

إضافة إلى تفعيل لغة الحوار والتي تعتبر من أنجح الوسائل لإيصال المفاهيم السليمة لعقل الأفراد، ومن المهم أن يجد الأبوين والمربين فرص للتجاوب الفكري للمتربي، مثال سرد القصص التي تنمي الجانب اللغوي والمعرفي والعقلي والخيالي والتحليلي عند المتربي، عندها يصبح المتربي متفوقاً عن بقية أقرانه، لأنه تربى تربية واعية معتدلة تذخر بالمعرفة والمساواة والعدل والرفق والحب.

من أولى الصفات التي على المربي في التربية المعتدلة أن يمتلكها هي القدرة على العطاء، وأن يتحلّى بالصبر عن وعي ومعرفة وليس صبر عن جهل وتقصير، وأن يمتلك المعلومات والمبادئ القيمية التي تساعده في التعرف إلى كل الشؤون التربوية خلال عمله مع المتربي وإلاّ ضاع الهدف، وانقلبت الأمور إلى الضد.

ومن أهم السلوكيّات عند المربين والمرشدين هي سلوكية المتابعة الدائمة، فالتربية عملية مستمرة لا يكفي فيها التوجيه العابر إنما تحتاج إلى متابعة دائمة.

ما يسهم في العطاء على التقويم والتصحيح الفعال والمؤثر للسلوك، أيضاً على المربي أن يتحلّى بالاستقرار النفسي والوضوح في الحزم واللين وفي القرارات (المسموح والممنوع) مع ترك الفرص متاحة للتصحيح دائماً، لأنه يتعامل مع نفس بشرية طبيعتها حساسة لذلك لا بد له من أن يمتلك قدراً من الهدوء النفسي والاستقرار فلا يكون صاحب مزاج متقلّب.

فالمربي هو القدوة الأساس في سلوكه وتوجيهاته والمؤثر الأول في نفس المتربي ولأن حياة الإنسان الجسمية والعقلية قائمة على أساس الاعتدال والإتزان، ورفض الغلو والشذوذ كما أن الكمال والنقص من صفات البشر فإن النفس الإنسانية تسعى لاستجماع هذه الصفات في كل مربي بالقدر المطلوب.

- المعوقات التي تواجه المرشدين والمربين أو الآباء:

هناك الكثير من الأمور التي تقف عائقاً وسداً منيعاً، أمام صوغ الشخصية الإنسانية للفرد بالطريقة التكاملية ومن هذه المعوقات:

أ- تشاغل المربين عن أداء دورهم ومهمتهم أو عدم اهتمامهم بالمتربي.

ب- أن يهتموا بالمأكل والملبس دون الاهتمام بروح الطفل وتوجيهه الوجهة السليمة.

ج- وسائل الإعلام التي ينسى الآباء أطفالهم أمامها لساعات دون رقابة.

د- أجهزة الهواتف المتروكة مع الأبناء دون مراقبة أو متابعة.

هذا لا يعني عدم الانفتاح على وسائل الإعلام كالتلفزيون وغيره ولكن أن تكون البرامج المشاهدة من قبل المتربي مراقبة من المربي:

١- أن تكون البرامج التلفزيونية منبثقة من العقيدة الإسلامية أو لا تتعارض معها.

٢- أن تهدف البرامج الموجهة للمتربي إلى غرس محبة الله ورسوله (ﷺ) وأهل بيته (ع) كي يكون في نفسه حب وتقوى وخشية من الله في الوقت نفسه.

٣- أن يشاهد برامج تجعله يغير بتاريخه وحضارته ويتعلم من الأخطاء السابقة.

من الصعب أن يكون أفراد الإنسان متّسقين دائماً إلا أن زيادة الاتّساق في السلوك تساعد المتربي في بناء توقّعاته التي على أساسها يحسم خياراته وقراراته.

أ- إحياء قيم الاستقلالية:

كي يستطيع المتربي تفهم ما يطلب منه المربي بمسؤولية لا بد من توجيهه ابتداءاً إلى أخذ القرار بمفرده، فيكون مستقلّاً في الفعل وفي مواجهة آثار الفعل الذي قام به:

- يكون المتربي أكثر استعداداً لتحصيل السعادة فيكون مسؤولاً إذا تُرك يتصرف باستقلالية.
- لا بد من تعويد المتربي على القيام بكل المهام التي يقدر على القيام بها بحيث لا يقوم بها المربي عنه.

ب- الغاء منطق الشفقة أثناء التربية والتوجيه:

هناك العديد من المربين يحرمون المتربين فرصة تعلّم أن يكونوا أشخاصاً مسؤولين، لأنهم يشعرون بالشفقة تجاههم، هذا الشعور بعدم قابلية الإقدام والتعرف إلى المجتمع لأن المتربي شعر بأنه قاصر، ولا يمكنه حل أي مشكلة من المشكلات.

الشعور بالشفقة يختلف عن التعاطف، فالتعاطف يتمثّل بإظهار الحب وتفهم المشاعر وهو يولّد القوة أما الشفقة فتولّد الضعف لأنها تشعره بالضعف.

ج- عدم الاحتكام إلى خارج البيئة:

يتردد العديد من المربين في أن يتركوا المتربين يعيشون تجربة العواقب المترتّبة على السلوك، لأنّهم يخافون من نقد الآخرين. عندها يعملون إلى تعويدهم على الكذب وعيش نموذجين وشخصيتين فيواجهون نتيجة ذلك صداماً، وتغايراً في الحقائق يرسمون لهم قدراً معيناً بحسب ما يريدونه (معايير مزدوجة).

د- تحديد عين المشكلة:

المربي لا بد له من تحديد عين المشكلة التي تواجه المتربي والتعرف إلى أسبابها الداخلية والخارجية وتقديم المعونة له في سبل حلها والوالدان بملكيتهم للعديد من المشكلات التي هي في الحقيقة ملك لأطفالهم لذا عليك بدايةً أن تحدد من هو صاحب المشكلة. عندي مشكلة وليس عنده مشكلة. وأن نفصل دائماً بين السلوك وفاعله أي لا نشترط حبنا للولد بحسب سلوكه هذا لا يساعدنا في تعديل السلوك.

هـ- تفعيل العمل مقابل الكلام:

يميل بعض المربين إلى الكلام الزائد، وهذا الأمر يعيق فعاليتهم وسرعان ما يتعود التلميذ كيف يكون "أطرش".

- التكلم مع المتربين بلغة وديـ ة تتضمن كل مفردات الرحمة والعفو، ما يجعل المربي قابلاً للاستماع والفهم.
- التركيز على النمذجة أكثر من نموذج مثال قصة. كي يتعلّم بالمثَل ولا ينجرح شعوره.

و- إشراك المتربي في تحمل المسؤولية:

- عندما تقع حادثةٌ بين مجموعة من المتربين، لا يجب تحديد المذنب بعينه بل لا بد من تحميل المسؤولية وتوزيعها بين كافة الأطراف بحيث لا يكونِ المحسن والمسيء بمنزلة سواء. هذا يعمم الخطأ وارتكابه من قبل المتربي لأنه يرى بأن حقه ضائع دوماً.

التواصل مع المتربين وإشعارهم بالتقدير والاحترام:

- إن التواصل الذي يسعى إليه المربي ينبع من العلاقة التي يشعر المتربي معها أنه محترم، وهي تعتمد على التوقيت المناسب.
- لا بد من إحياء قيم التواصل مع المتربي وإعطائه الفرصة للتعبير عن آرائه.
- المحافظة على الاحترام المتبادل بين المربي والمتربي.
- تعميم حال الاحترام عند حدوث حال من الخلاف وتسهيل إمكانية الحوار.
- التواصل المبني على الاحترام المتبادل يستند إلى الرغبة في الاعتراف بحدود المعرفة عند المتربي بحيث يعترف بحاجته إلى الاستعانة بالمربي للتعرف إلى كل ما يخفى عنه، لذا يجب مساعدته في التعرف على الأمور وعدم تقديم الإجابات جاهزة دون أن يدرك مغزاها وأهدافها من تلقاء نفسه، وهذا من الأمور التي تعزز عند المتربي الثقة بالنفس وتمنحه القدرة على التفكير في أكثر من قضية.
- يميل أكثر المتربين إلى تحقيق نمط الشخصية من خلال القوالب التي يوضعون فيها، عن طريق التنميط ما يفقدهم القدرة على التواصل الصحيح والسليم وبالتالي تصبح المعارف التي يحققونها متجزئة وغير كافية للتطوير والتنمية، إن على المستوى الشخصي أو العام. وهذا مؤلم ومدمرٍ.

- خاتمة الفصل الثاني:

الاعتدال في التربية أمر أساسي في العملية التربوية.

والتحلّي بهذا الاعتدال يتطلّب جهداً وعزيمةً وحكمةً وتحصيل ثقافة تربوية مسؤولة كي يستطيع إنجاز هذه المهمة بتمامها متفادياً الأخطاء الفادحة.

فالمربي الذي يعتمد أسلوب التربية المعتدلة والمسؤولة، يرشد إلى أساليب في تقويم السلوك ومنها التأكيد على أن الوقوع في الخطأ موجود ولكن عليه أن يتعلّم كيف يصوب هذا الخطأ ويتفاداه في المستقبل وفي المرة القادمة.

التربية المعتدلة لا تجعل المربين يضعون معايير مزدوجة بحيث يفقد المتربي القدرة على تنفيذ الصورة التي ترسم له من قبل المربي عند تعارضه مع القابليات والاستعدادات التي يحملها فالتربية المعتدلة تراعي مقومات المتربي وتعمل على تطويرها وتحسينها.

فالمربون يستطيعون بمعرفتهم وثقافتهم أن ينقذوا المتربين من عقد بنسبة كبيرة البعض منها يعالج والآخر يصعب علاجه.

الفصل الثالث:

الإرشاد القرآني وأهميته في العملية التربوية

١- التأصيل القرآني لعملية الإرشاد التربوية.

٢- طرائق التربية القرآنية.

٣- الإرشاد والتوجيه وظيفة إلهية رسالية.

- تمهيد:

- الإرشاد القرآني وأهميته في العملية التربوية:

أهمية الإرشاد في القرآن أولاً، كونه مرجعاً ومصدراً قطعي الصدور، وثانياً أنه صادر من عليم خبير هو أخبر بمن خلق وما يتناسب مع خلقه.

ولقد استعملت في بحثي طريقة الاستقراء الجزئي والتحليل في هذا الفصل بالذات وذلك لأن الاستقراء الكلّي يحتاج لمساحة أوسع بكثير.

والإرشاد هدفه التصويب والتوجيه والمساعدة وأي مرجع سيكون أحكم وأدق وأكثر معرفة بحقائق الأمور من كتاب الله وهو الذي نزل على قلب الحبيب المصطفى (ﷺ) الذي جاء رحمة للعالمين أجمع، لهذا فإن باب الإرشاد في القرآن يدخل في إطار الإرشاد العام وفيه خصوصيات كثيرة ونافعة جداً، والبناء عليها كمرتكز معرفي في دراسة الحالات ووضع الحلول المناسبة والأسس والقواعد المساهمة في حل المشكلات التي يمكن منها اجتراح الحلول وصوغْ أنماط العلاج.

- **مصطلح الإرشاد النفسي والتربوي:**

الإرشاد النفسي مصطلح يستطيع أن يلتقي حوله الكثير من أصحاب النظريات التربوية كلٌّ بحسب منشأ الطريقة وأصولها، لذلك تذخر المكتبات العامة والإسلامية بالمئات من التعريفات لهذا المصطلح ويرجع السبب في عدم الاتفاق على تعريف ما هو إلا لتعدد مجالاته واختلاف نظرياته، ويمكن تصور الإرشاد على أنه علاقة مساعدة تضمن:

أ- شخص يطلب المساعدة.

ب- شخص لديه الرغبة في تقديم تلك المساعدة وهو مؤهل ومدرب.

ج-موقف يسمح بتقديم تلك المساعدة وتلبيتها.

ورغم تعدد تعريفات الإرشاد النفسي، سوف نتعرض لتعريفين فقط وهما:

أولاً: الإرشاد هو علاقة إنسانية بين فردين أحدهما متخصص متدرب والآخر يطلب المساعدة من أجل التوصل إلى الحلول الملائمة لمشكلته والتي قد تكون شخصية أو اجتماعية أو انفعالية أو مشكلة اختيار مهنة، مع إعطاء المسترشد فرصة اتخاذ القرار المناسب الذي يتفق مع إمكانياته وقدراته واهتماماته.

ثانياً: يعرف علم النفس الإرشادي على أنه "مجموع الخدمات التي يقدمها أخصائيون في علم النفس الإرشادي يستخدمون مبادئ ومناهج وإجراءات لتيسير السلوك الفعال للإنسان خلال عمليات نموه وعلى امتداد حياته كلّها مع تأكيدهم على الجوانب الإيجابية للنمو والتوافق في إطار منظور النمو، وتهدف هذه الخدمات إلى مساعدة الأفراد في اكتساب أو تغيير المهارات الشخصية – الاجتماعية وتحسين التوافق لمطالب الحياة المتغيرة وتعزيز مهارات التعامل بنجاح مع البيئة واكتساب القدرة على حل المشكلات في اتخاذ القرارات"[1].

وتشير العلاقة الإرشادية إلى المناخ النفسي الذي يتولّد من التفاعل بين المرشد والمسترشد، وعليه فإن العلاقة الإرشادية الجيدة تؤدي لنمو نفسي جيد والعلاقة الضعيفة تؤدي إلى نتائج غير مرغوبة. ويفترض أن تقوم العلاقة الإرشادية على عوامل مثل الاحترام المتبادل بين المرشد والمسترشد، والثقة المتبادلة والإحساس بالأمن والراحة النفسية.

ويتأثر المناخ النفسي في العلاقة الإرشادية بعدد من العوامل منها السمات الشخصية والمهنية للمرشد والتاريخ الشخصي للمسترشد وحالة القلق لديه.

ويقوم الإرشاد على أسس عامة منها: مرونة السلوك الإنساني وقابليته للتعديل والتغيير، وحق الفرد في التوجيه والإرشاد وحاجته إليه من الطفولة إلى الكهولة، واستعداده له مع وجود فروق فردية ومطالب يجب تحقيقها والاهتمام بالفرد كعضو في جامعة.

---

[1]- م. س، من المادة النظرية، (مدارس المهدي "عج").

- **الإرشاد القرآني وأهميته في العملية التربوية:**

لقد وردت في القرآن الكريم الكثير من الآيات القرآنية التي تصف المعاناة النفسية وحالة القلق والتوتر التي يعاني منها الأفراد في معترك الحياة، ووصفت الآيات كيفية توجيه النفس البشرية نحو الطمأنينة والاستقرار والصبر على ما يواجهها من إحباط ومتاعب وتربيتها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منذ الصغر وخلال مراحل النمو المختلفة.

وتتبلور أشكال الحالات من بدايات الخلق والتي وصفها تعالى: ﴿**لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبِدٍ**﴾[1] ، وفيها إشارة إلى معاناة الإنسان ولهاثه في الحياة وجهاده النفسي المستمر.

وفي معتدل الحياة يصفه: ﴿**إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلاَّ الْمُصَلِّينَ**﴾[2]، مبيناً له العلاجَ الذي يخلق عنده الاطمئنان من خلال الصلاة وكيف تؤدي الصلاة لهدوء النفس والأعصاب وتخلّص الفرد من القلق. وهنالك جذور إسلامية للإرشاد التربوي والنفسي من خلال تطوير مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى ولاية يقوم بها مرشد يعدل سلوك فرد معين أو جماعة.

والمرشد الأول في الإسلام هو النبي محمد (ﷺ) والذي اتسمت علاقته بالمسلمين بالمودة والدفء والثقة المتبادلة... قال تعالى: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ**﴾. وقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾[3].

فالنبي (ﷺ) والأئمة (عليهم السلام) هم الدليل إلى الله تعالى الخالق العارف بكنه مخلوقاته والعالم بكل ما يناسب فطرتهم، ولهذا جاءت بعثة الأنبياء والمرسلين ليكونوا أطباء دوارون بطبهم محكمون بعلاجهم للناس، يسود قلبهم المودة والرحمة والإصلاح والإرشاد.

- **عناصر الإرشاد النفسي التربوي وأهدافه في القرآن الكريم:**

-أولاً: عناصر تأصيل الإرشاد النفسي والتربوي في القرآن الكريم:

الإرشاد النفسي هو توجيه من قبل مـ رشد يهدف إلى تعديل السلوك عند السوي والمنحرف، وهو يتناول كل عناصر شخصية الفرد جسمياً وعقلياً واجتماعياً وانفعالياً ونفسياً، والإرشاد النفسي عملية يشجع فيها المرشد المسـ ترشد، ويوقظ عنده الدافع والقدرة على أن يعمل شيئاً لنفسه بنفسه، بمعنى آخر هو أسلوب يحفّز على تعديل السلوك مع تقدير الذات.

وتتكون عملية الإرشاد من عناصر ثلاثة:

---

[1]- سورة البلد، الآية ٤.

[2]- سورة المعارج، الآية ١٩-٢١.

[3]- سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

١- **المسترشد(*)**: وهو شخص بحاجة للمساعدة لحل مشكلاته الاجتماعية أو الانفعالية أو اختيار المهنة أو اكتساب المهارات الشخصية أو تغييرها وتحسين التوافق لتحقيق مطالب الحياة أو لأجل مشكلات عرضت عليه من خلال تجاربه.

وقد وصفهم القرآن الكريم بالمهتدون اي طالبي الهداية والرشد بقوله تعالى: ﴿**أُولَئِكَ لَهُمُ الأَمنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ**﴾[١]. وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[٢].

٢- **المرشد** : وهو شخص لديه الرغبة في تقديم المساعدة وهو مؤهل ومدرب، وسمي بالمرشد والهادي والناصح ووصف بهذا الفعل الأنبياء (عليهم السلام) والنبي (ﷺ) والأئمة (عليهم السلام). إلاّ أنه قد يمنع المسترشد من تحصيل المرشد نتيجة ضلاله.

قال تعالى: ﴿**وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا**﴾[٣]، وأيضاً قد يكون المرشد هو الشيطان نفسه فهو يتقدم بطريقة النصح، قال تعالى: ﴿**وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ**﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿**وَصَدُّوا عَن السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿**ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾[٦].

وذكر القرآن الكريم صفات هذا المرشد ومنها أنه ذو خبرة كما في قوله تعالى: ﴿**بِهِ خَبِيرًا**﴾[٧].

وقال تعالى: ﴿**فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ**﴾[٨]. وقال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾[٩].

ومن صفات المرشد الأمانة فهو مؤتمن على أسرار مسترشديه، ومؤتمن على العلم الذي تعلّمه أن يعمل به على أكمل وجه ولا يكتمه. قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾[١٠]، وقال تعالى: ﴿**لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ**﴾[١١].

---

* - متعلّق الرشد مثل متعلّق الهداية.
١- سورة الأنعام، الآية ٨٢.
٢- سورة الحج، الآية ٥٤.
٣- سورة الكهف، الآية ١٧.
٤- سورة الأعراف، الآية ٢١.
٥- سورة الزمر، الآية ٣٣.
٦- سورة الزمر، الآية ٢٣.
٧- سورة الفرقان، الآية ٥٩.
٨- سورة الأنبياء، الآية ٧.
٩- سورة يوسف، الآية ١٠٨.
١٠- سورة النساء، الآية ٣٧.
١١- سورية آل عمران، الآية ١٨٧.

٣- **الإرشاد:** محور الإرشاد المراد هنا متعلق بسلوك الإنسان خلال مراحل نموه، وهو موقف يسمح بتقديم المساعدة للمسترشد في مناخ نفسي مبني على الاحترام والثقة.

وقد ورد في القرآن الكريم حاجة الإنسان إلى الإرشاد بوصفه بعدم العلم في أول مراحل نموه، كما في قوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾**[١]. فهنا يبين حاجة الإنسان الفطرية إلى الإرشاد والتوجيه والتبين.

- ثانياً: أهداف الإرشاد النفسي والتربوي في القرآن الكريم:

تتلخص أهداف الإرشاد النفسي والتربوي في تحقيق الذات وتحقيق التوافق (الشخصي والتربوي والاجتماعي ..)، وتحقيق الصحة النفسية وتوجيه الغرائز بما يتلاءم مع النفس أي دون قمعها بل بأسلوب التوجيه والتنظيم.

وقد تضمن القرآن الكريم أهداف الإرشاد النفسي والتربوي، وفيما يلي نماذج من آيات القرآن الكريم التي أشارت إليها ومنها:

أحداث تغيير إيجابي في سلوك المسترشد عن طريق فهمه لذاته وإدراكه لمدى قدراته ومهاراته واستعداداته وميوله:

أ- يقرر القرآن الكريم حقيقة وهي عدم ثبات النفس البشرية على حال وأن سلوك الإنسان ثمرة لتفكيره، فالقلق والاضطراب يوجد في الإنسان لأنه يفكر في الأشياء التي تسبب الانزعاج، فإذا فهم الإنسان لماذا يتألم وغير طريقة تعامله مع هذه الأفكار ينتهي سبب الألم النفسي. قال تعالى: **﴿ونَفْسٍ وما سوَّاها * فَأَلْهمها فُجورها وتَقْواها * قَدْ أَفْلَحَ من زَكَّاها * وقَدْ خَاب من دسَّاها﴾**[٢].

ب- إن اكتشاف عالم النفس أمر منَّ به الله على عباده وأنه سبيل لبيان الحق، قال تعالى: **﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾**[٣]، وقال تعالى: **﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنفُسِكُمْ * أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾**[٤]، وقال تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم﴾**[٥].

ج- إن للنفس البشرية حدوداً وطاقات، ونفوس البشر ليست متساوية في قدراتها على التحمل واستجاباتها مختلفة تجاه ذات الأسباب وتتراوح ما بين التقبل لهذه الأسباب والتعامل معها بحسبها أو الهروب منها، وقد تصل الحال إلى درجة نكران الذات أو

---

[١]- سورة النمل، الآية ٧٨.
[٢]- سورة الشمس، الآية ٧-١٠
[٣]- سورة فصلت، الآية ٥٣
[٤]- سورة الذاريات، الآية ٢٠-٢١.
[٥]- سورة الروم، الآية ٨.

الهروب من المحيط. وقال تعالى: ﴿**لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وعَلَيها ما اكْتَسبتْ**﴾[1].

والله أمر نبيه محمد (ﷺ) أن يذكّر الناس بكتاب الله الذي يعرف الناس بذواتهم ويصونها لئلا يهلكوا أنفسهم، وقال تعالى: ﴿**وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ**﴾[2].

د- احتوى القرآن الكريم على سلوكيّات بديلة تحول بين الفرد وبين آلامه النفسية، وهذه السلوكيّات الإيجابية ممكنة للإنسان إذا ما أُرشد إليها. قال تعالى: ﴿**وعِبادُ الرَّحمنِ الَّذين يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً**﴾[3]. تجاهل الألم والإحباط بسبب المحيطين.

إن الآية الكريمة تقرر أن الإنسان يواجه في حياته مواقف من الآخرين الذين وصفهم الله بالجهل إعلاء بشأن من لا يستجيب لهذه السلوكيات الصادرة عنهم ويقابلها بالسلام، وهو وصف يضفي يتمثل بالثقة بالنفس استعلاء على الصعوبات ومثلها قوله تعالى: ﴿**والَّذين يَجْتَنِبُونَ كَبائِرَ الإِثْمِ والْفَواحِشَ وإِذَا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ**﴾[4].

دعوة صريحة من البَاري عز وجل إلى عدم الحقد لأنه يؤثّر في صاحبه ويجعله يتألّم، وهذا علاج نفسي مهم لأن يغفر الإنسان عن علم ومعرفة، لأنه بالأساس يجنب نفسه الفواحش والمعاصي.

- المحافظة على صحة الفرد النفسية من خلال بعده عن التهديد والخوف:

يقرر القرآن أن الإنسان السو ي الراشد لا يستجيب للأذى الذي يتعرض له في سنين حياته فالله يكفيه ذلك. فالذي يتوكل على الله يكفيه ويعينه وبهذا يتغلب على المصاعب، قال تعالى: ﴿ **الَّذين يُبَلِّغُونَ رِسالاتِ اللَّهِ ويَخْشَوْنَهُ ولا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلاَّ اللَّهَ وكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً**﴾[5].

وقال تعالى: ﴿**ولا تُطِعِ الْكَافِرِينَ والْمُنَافِقِينَ ودَعْ أَذَاهُمْ وتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً**﴾[6].

---

[1]- سورة البقرة، الآية ٢٨٦.
[2]- سورة الأنعام، الآية ٧٠.
[3]- سورة الفرقان، ٦٣.
[4]- سورة الشورى، الآية ٣٧.
[5]- سورة الأحزاب، الآية ٣٩.
[6]- سورة الأحزاب، الآية ٤٨.

كل الإرشاد القرآني بمثابة عناية إلهية راعية للنفس الإنسانية، وقال تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ**﴾[1].

- قال سيد قطب في ظلاله «أيُّ طمأنينة ينشئها هذا التصور وأي سكينة يفيضها على القلب، وأي ثقة بالحق والخير والصلاح وأي قوة واستعلاء على الواقع الصغير يسكنها في الضمير»[2].
- الإيمان بالله وبعدله والسعي ضمن التوكّل والرضى كلّه يسكّن الروح، ولتحقيق هذا الهدف يذكّر القرآن الكريم بأن أموراً كثيرة لم يكلها الله لعبادة بل تكفل بها، فالحياة والرزق بيده وهي معاني يعزّ نظيرها في فكر آخر فهي تكسب المسلم ثقة وأمناً وطمأنينة كما في قوله تعالى: ﴿**وفي السَّماء رِزْقُكم وما تُوعدون**﴾[3]. توكل مع السعي والشكر على النتائج كلّه يـ نجي الإنسان من الإحباط والشعور بالخيبة والتردد.

- الحلول القرآنية للمشكلات الشخصية والاجتماعية:

إن القرآن الكريم يبين وجود مشاكل تواجه الإنسان في حياته، قال تعالى: ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ**﴾[4].

والمكابدة هي المشقة والمعاناة، وهذا المنهج الإرشادي يعترف أولاً بوجود المشكلة ثم يوجه الإنسان لحل مشكلاته بأساليب منها:

أ- الاعتراف بوجود المشكلة وهذا يمثل نصف الحل.

ب-تقليل حجم هذه المشاكل بأنها لا تدوم ويتبعها فرج قريب، قال تعالى: ﴿**ومن يتَّقِ اللَّه يجعل لَّه مخْرجا**﴾[5]، وقال تعالى: ﴿ **لا يكلِّفُ اللَّه نَفْسا إِلاَّ ما آتَاها سيجعل اللَّه بعد عسرٍ يسرا**﴾[6].

ج- تغيير المكان لأنه قد يحتوي على حلاّ لمشاكل الإنسان قال تعالى: ﴿**ومن يهاجِر في سبيل اللَّه يجِد في الأَرْضِ مراغَما كَثيرا وسعةً**﴾[7].

د- اعتماد قاعدة الإنفاق تثبيتاً للنفس.

---

[1]- سورة إبراهيم، ٢٧.
[2]- سورة الذاريات، الآية ٢٢.
[3]- قطب، محمد، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م، ج١، ص ١٤.
[4]- سورة البلد، الآية ٤.
[5]- سورة الطلاق، الآية ٢.
[6]- سورة الطلاق، الآية ٧.
[7]- سورة النساء، الآية ١٠٠.

قال تعالى: ﴿**وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ**﴾[1].

هـ- التعاون حيث كلّف القرآن الكريم المجتمع بمساعدة كل فرد لأخيه الإنسان، قال تعالى: ﴿**وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى**﴾[2].

وأعطى على ذلك أمثلة منها:

قال تعالى عن سيدنا موسى عليه السلام: ﴿**وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاء وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ * فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ * فَجَاءتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاء قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**﴾[3].

وهذا أنموذج للتعاون القيمي الأخلاقي الذي يراعي وظائف كل فرد.

- توجيه النمو وإزالة المعوقات:

يقرر القرآن الكريم مراحل النمو وخصائص كل مرحلة وحاجاتها: قال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ**﴾[4]. فكل مرحلة لها تكليفها ومراعاتها ووضعها الخاص. وكل هذا يصب في تعديل المزاج والراحة النفسية.

وأمر بالسعي في الأرض وتناول الطيبات التي أنعمها الله على عباده: قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**﴾[5]. كلّه توجيه وإرشاد لأجل رفع المعوقات ولإيجاد الحلول.

وقال تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاء بِنَاء وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[6]، وقال تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً**﴾[7]، وقال تعالى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُواْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**

---

[1]- سورة البقرة، الآية ٢٦٥.
[2]- سورة المائدة، الآية٢.
[3]- سورة القصص، الآية ٢٣-٢٤.
[4]- سورة الروم، الآية ٥٤.
[5]- سورة الملك، الآية ١٥.
[6]- سورة غافر، الآية ٦٤.
[7]- سورة لقمان، الآية ٢٠.

خَالصَةً يوم الْقيامَة كَذَلكَ نُفَصّلُ الآيَات لقَوْم يَعْلَمُونَ﴾[1]. ويحصل عن هذا الإرشاد المنافع الجسَدية والنفسية.

وأزال الله سبحانه وتعالى معوقات النمو بإباحة الطيبات: قال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ كُلُواْ من طَيّبَات ما رزَقْنَاكُمْ واشْكُرُواْ للّه إن كُنتُمْ إيَّاهُ تَعْبُدونَ * إنَّما حرَّمَ عَليْكُم الْميتَةَ والدَّم ولَحم الْخنزير وما أُهلَّ به لغَيْر اللّه فَمَنَ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ ولاَ عَادٍ فَلا إثْمَ عَلَيْه إنَّ اللّه غَفُورٌ رَّحيمٌ﴾**[2]، وقال تعالى: **﴿يَسأَلُونَكَ ماذَا أُحلَّ لَهم قُل أُحلَّ لَكُم الطَّيّبَاتُ﴾**[3]، وقال تعالى: **﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فيهَا دفْءٌ ومَنَافعُ ومنْهَا تَأْكُلُونَ * ولَكُمْ فيهَا جَمَالٌ حينَ تُريحُونَ وحينَ تَسْرَحُونَ * وتَحْملُ أَثْقَالَكُمْ إلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَالغيه إلاَّ بشقّ الأَنفُس إنَّ ربَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحيمٌ * والْخَيْلَ والْبغَالَ والْحَميرَ لتَركَبُوهَا وزينَةً ويَخْلُقُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * وعَلَى اللّه قَصْدُ السَّبيلِ ومنْهَا جَائرٌ ولَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعينَ * هُوَ الَّذي أَنزَلَ منَ السَّمَاء مَاءً لَّكُم منْهُ شَرَابٌ ومنْهُ شَجَرٌ فيه تُسيمُونَ * ينبتُ لَكُم به الزَّرْعَ والزَّيْتُونَ والنَّخيلَ والأَعْنَابَ ومن كُلِّ الثَّمَرَات إنَّ في ذَلكَ لآيَةً لّقَوْم يَتَفَكَّرُونَ * وسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ والنَّهَارَ والشَّمْسَ والْقَمَرَ والنُّجُومُ مسَخَّرَاتٌ بأَمْره إنَّ في ذَلكَ لآيَاتٍ لّقَوْم يَعْقلُونَ * وما ذَرَأَ لَكُمْ في الأَرْض مُخْتَلفًا أَلْوَانُهُ إنَّ في ذَلكَ لآيَةً لّقَوْم يَذَّكَّرُونَ * وهُوَ الَّذي سَخَّرَ الْبَحْرَ لتَأْكُلُواْ منْهُ لَحْمًا طَريًّا وتَسْتَخْرجُواْ منْهُ حلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخرَ فيه ولتَبْتَغُواْ من فَضْله ولَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**[4].

ففي هذه الآياتَ إشاراتَ إلى الإرشاد الغذائي، وهذا النوع من الإرشاد لم ينطلق بشكل عبثي بل هو تدبير من عليم حكيم لأن الطعام له آثار كبيرة على النفس وليونتها أو قسوتها ويؤثر في الروح والعبادات وفي تلّوث النفس وتدميرها، وكثيراً ما نهى علماء العرفان والمراقبة عن الأكل المحرم والمتنجس لأن له أثر بالغ في تلوث النفس وتدميرها.

- طرائق التربية القرآنية:

تساعد أساليب التربية القرآنية في تحصيل الأمور التالية:

أ- **تحقيق الذات:** وذلك بمساعدة الفرد على التحكّم بالعواطف السلبية والمخيبة للذات مثل القلق والشعور بالذنب واحتقار الذات وفقدان الأمل وعدم الشعور بالأمن.

---

[1]- سورة الأعراف، الآية ٣١-٣٢.
[2]- سورة البقرة، الآية ١٧٢-١٧٣.
[3]- سورة المائدة، الآية ٤.
[4]- سورة النحل، الآية ٥.

ب- تقوية الثقة بالنفس: شعور الفرد بأنه قادر على تحمل المسؤولية وحاجته إلى أن يشعر أنه أنجز عملاً ذا قيمة وفائدة للغير، وحاجة الفرد للاستقلال والتطور والنمو في قدراته وخبراته أن ذلك يرفع من قيمته في نظر الغير ويدفع الآخرين أن ينظروا إليه بتقدير.

شعور الإنسان بقيمته من خلال تحقيقه لأمور أو مواقف تعزز للفرد ثقته بنفسه، وقد أشار القرآن إلى معانٍ متعددة لتحقيق الذات منها، قوله تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا**﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿**وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**﴾[5]، وقوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا**﴾[6]، وقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾[7]، وقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾[8].

فأكثر الآيات تتضمن إشارات تحكي عن العناصر التي تسهم في بناء الشخصية الإنسانية بناءاً تكاملّياً ثم رفع النفس لتحصيل مكانتها بالعلم وبيان أنواع المجاهدات النفسية التي ترتقي بالنفس فتصل إلى الإطمئنان والجهاد بكل أبوابه والفوز والفلاح.

لذلك فمعنى هذه الآيات تؤكد أن احترام الذات واكتساب العزة لا بد أن يأتي عن طريق الإيمان بالله والالتزام بنهجه. من هنا نجد أن أكثر العلمانيين تائهين ينكرون وجود الله ثم يعترفون ضمنياً.

أما العزّة التي تأتي عن كثرة الاتباع الذين يتبعون العزّ ولأهداف شخصية وأهواء نفسية، فهذه العزة تؤدي بأصحابها إلى الهلاك في الدنيا والآخرة.

والحصول على المراكز المتقدمة وإقرانها بالعزّة يؤدي إلى آفات كثيرة منها:

---

[1]- سورة المنافقون، الآية ٨.
[2]- سورة البقرة، الآية ٢٠٦.
[3]- سورة النساء، الآية ١٣٩.
[4]- سورة يونس، الآية ٦٥.
[5]- سورة المجادلة، الآية ١١.
[6]- سورة فاطر، سورة ١٠.
[7]- سورة الحجرات، الآية ١٣.
[8]- سورة التوبة، الآية ٢٠.

- آفة التكبر وعلاجاتها:

إن إشباع حاجة المرء لتحقيق الذات يكون بالتواضع وعدم التكبر، وهذه إشارة إلى ضرورة التواضع وهي صفة إنسانية، والنهي عن التكبر واعتباره معصية ومخالف لأصل الفطرة وتكوينها وفي ذلك يقول تعالى في آيات عدة: ﴿**وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾[3]، وقال تعالى: ﴿**واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾[5].

وانطلاقاً من حاجة الإنسان إلى الانصهار الاجتماعي والتعاون مع أفراد بيئته وفي اتخاذ القرارات وعملاً بمبدأ التواضع لابد من أن ننطلق من قاعدة أساس أكدتها الآية: ﴿**وأمرهم شورى بينهم**﴾[6]، قال تعالى: ﴿**وشاورهم في الأمر**﴾[7].

التكبر لا يمكن أن ينتج عنه عملاً جيداً وصالحاً وبناء، لذلك يقول تعالى مبيناً أثر العمل الخالص من كل عناصر الغرور والتكبر: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[8]، وقال تعالى:﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾[9]، وقال تعالى: ﴿**وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾[10]، وقال تعالى: ﴿**أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى**﴾[11]. من العناصر المضادة للتكبر الإعتراف بحق الآخر وعدم إبطال فعالية أي عمل يقوم به لذلك أشارت الآيات القرآنية بمضمونها إلى تحديد قيمة العمل وأثر نتائجه كما في قوله تعالى: ﴿**وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى* وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى**﴾[12].

---

[1]- سورة الشعراء، الآية ٢١٥.
[2]- سورة المائدة، الآية ٥٤.
[3]- سورة القصص، الآية ٨٣.
[4]- سورة القصص، الآية ٣٩.
[5]- سورة لقمان، الآية ١٨.
[6]- سورة الشورى، الآية ٣٨.
[7]- سورة آل عمران، الآية ١٥٩.
[8]- سورة النحل، الآية ٩٧.
[9]- سورة العصر، الآية ١-٣.
[10]- سورة الأحقاف، الآية ١٩.
[11]- سورة آل عمران، الآية ١٩٥.
[12]- سورة النجم، الآية ٣٩-٤١.

إعطاء أي عمل قيمة مهما كان قدرها يسهم في اندفاع الفرد نحو القيام بأصل الفعل وتطويره وتنميته هذا إضافة إلى بيان الجهة الفاعلة في تأكيد الرزق وزيارته وحصر ذلك بالتوكل والسعي. والخوف يزول عن الإنسان بمجرد أن يعترف الآخر بهذا، وينزع القرآن الكريم من نفوس اتباعه الخوف و التردد بربط الرزق والموت بالله وبيان عجز من دونه عن ذلك.

وفي قوله تعالى: **﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾**[1]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾**[2]، وقال تعالى: **﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾**[3]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾**[4]، وقال تعالى: **﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾**[5]. كل تلك الآيات الشريفة توثّق الثقة بالله وبالنفس، وترفع عناء التفكير بالتذليل للمثيل.

- اقتران العزة بالإيمان:

يؤكد القرآن الكريم ضرورة مقاومة كل معاني الذلة والمسكنة والهوان، وقال تعالى: **﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**[6].

كما أمر بوجوب قول كلمة الحق دون خوف ولا وجل، قال تعالى: **﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾**[7]، وقال تعالى: **﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾**[8].

لأن كتمان الحق يولّد الشعور بالذنب وهو مرض نفسي قاتل، والسكوت عن الحق يسبب في نتائج مدمرة على المستوى النفسي والاجتماعي والأخلاقي للساكت عنه.

لا بد من مساعدة الفرد من قبل المرشد في تأكيد فعله بطريقة القرار الثابت والواعي وذلك لتحصيل عناصر عدة أهمها:

أولاً: مبدأ الشورى: في اتخاذ القرارات، وفي قوله تعالى: **﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾**[9]، وقال تعالى: **﴿وأمرهم شورى بينهم﴾**[10].

---

[1]- سورة النمل، الآية ٦٢.
[2]- سورة الذاريات، الآية ٥٨.
[3]- سورة آل عمران، الآية ١٤٥.
[4]- سورة الأعراف، الآية ١٩٤.
[5]- سورة يونس، الآية ١٠٧.
[6]- سورة التوبة، الآية ١٣.
[7]- سورة المائدة، الآية ٥٤.
[8]- سورة آل عمران، الآية ١٣٩.
[9]- سورة آل عمران، الآية ١٥٩.
[10]- سورة الشورى، الآية ٣٨.

ثانياً: الحوار: وانموذجه القرآني هو الأسلوب الذي خاطب به تعالى نوح بعد سؤاله لله تعالى عن مصير ابنه وكان ذلك بإزالة ما توهمه نوح منطقاً سليماً بأن ابنه من أهله إلاّ أن التوضيح كان ليستمر سيد نا نوح في رحلته تاركاً ابنه، قال تعالى: ﴿**ونَادَى نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ**﴾[1].

ثالثا: الحوار الاستعطافي: وهو الذي جرى بين نوح وابنه وقد كان جواب الأبن: ﴿**قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ**﴾[2]. فالحوار يمثّل بحسب الفهم والإرشاد القرآني الأسلوب التربوي الراقي الذي يرتفع بعقل ووعي الإنسان إلى أصله ويوقظ فطرته.

- تعديل السلوك وتغير العادات:

استعمال القرآن الكريم لفظ العمل الصالح للتدليل على السلوك المرغوب به والعمل غير الصالح أو السيء للسلوك غير المرغوب به ، وذلك لا يكون إلاّ بتغيير العادات السلوكية والتي تتمثّل بالسلوك الحسن؛ وهو الذي يدعو إلى فعل الخير، وينهي عن فعل السوء كما في قوله تعالى: ﴿**مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا**﴾[3]. وقال تعالى: ﴿ **وما عَمِلَتْ من سوءٍ**﴾[4].

وجعل مصدر التلقّي للسلوك هو القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وأحاديث أهل البيت (ع)، قال تعالى: ﴿ **يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُواْ أَطيعُواْ اللَّهَ وَأَطيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمرِ منكُم فَإِن تَنَازَعتُم في شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُم تُؤمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَومِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيرٌ وَأَحسَنُ تَأوِيلاً**﴾[5].

أي عرض الأمور على القدوة القطعية الصدور للأمن من مخاطر الأخطاء، ولذلك أرشد القرآن إلى نموذج القدوة ليتبعه الإنسان ونموذج القرين السيء لكي يتجنبه، وهذا من الأمور الجوهرية في تحصين النفس، وفي ذلك يقول تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا**﴾[6]، وقال تعالى: ﴿**لَقَد**

---

[1]- سورة هود، الآية ٤٦.
[2]- سورة هود، الآية ٤٣.
[3]- سورة فصلت، الآية ٣٣.
[4]- سورة آل عمران، الآية ٣٠.
[5]- سورة النساء، الآية ٥٩.
[6]- سورة الفرقان، الآية ٢٧-٢٨.

كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[1]، وقال تعالى: **﴿الأَخِلاَّء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾**[2]، وقال تعالى: **﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ﴾**[3].

- التوجيه النفسي في مواجهة الصعوبات البيئية:

يقرر القرآن الكريم وجود صعوبات كثيرة تواجه الإنسان في حياته، وذلك نتيجة قلّة خبرته وفهمه بخطايا أمور الحياة، فهو يعيش في جزء كبير من حياته حال الشقاء والتعاسة: **﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ﴾**[4]، ثم يبين تعالى سبب هذا الشقاء والغاية منه وكيفية التعاطي معه: **﴿وَلَوْ شَاء اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾**[5]، وقال تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾**[6]، وقال تعالى، **﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾**[7].

وجود الإنسان في الدنيا يحمله أعباء وتكاليف والله مهد له وعرفه لكل الأمور التي تكون مصدر للسعادة أو الشقاء وما التكاليف الإلهية إلاّ لتحصل الاطمئنان والسعادة والتساوي بين بني الإنسان، وقال تعالى: **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمْوَالِ وَالأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُواْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾**[8].

والتمهيد للبلاء وحدوثه يوطّن النفس ويعطيها قوة وحكمة في تدبر الأمور، وما القرآن إلاّ سبيل في الهداية والرشاد: **﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً ﴾**[9]، قال تعالى: **﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ﴾**[10]. في هذه الآية إشارة إلى ضرورة إرجاع الأمور إلى العلي القادر فهو يعالج النفس ويعطيها دعماً معنوياً ودفعاً لتكملة الحياة والاستمرار رغم الصعاب.

---

[1]- سورة الأحزاب، الآية ٢١.
[2]- سورة الزخرف، الآية ٦٧
[3]- سورة ق، ص ٢٧.
[4]- سورة الانشقاق، الآية ٦.
[5]- سورة المائدة، الآية ٤٨.
[6]- سورة الأنعام، الآية ١٦٥.
[7]- سورة الكهف، الآية ٧.
[8]- سورة البقرة، الآية ٦.
[9]- سورة طه، الآية ١١٣.
[10]- سورة الطلاق، الآية ٢-٣.

- الإشارة القرآنية إلى فهم البيئة التربوية:

قال تعالى: ﴿**أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ**﴾[2].

- تفعيل التواصل عند المسترشد:

لأن التواصل من العناصر التي تفعل شخصية المسترشد في تنمية مهارة التواصل مع الآخر وإزالة كل العوائق النفسية والاجتماعية تجاه الآخر ويؤثر في البيئة النفسية وينمي المهارات الاجتماعية.

وقد أكّد القرآن الكريم ضرورة معالجة الاختلاف والوحدة بتنمية الشخصية القابلة للآخر المختلف كما في قوله تعالى: ﴿**ولَو شَاء اللَّه لَجعلَكُم أُمَّةً**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**وما كَانَ النَّاس إِلاَّ إِلاَّ أُمَّةً واحِدةً فَاخْتَلَفُواْ**﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً**﴾[5]. وقوله تعالى: ﴿**ومِنْ آياته خَلْقُ السَّماوات والأَرْضِ واخْتِلافُ أَلْسنَتكُمْ وأَلْوانكُمْ**﴾[6].

ويرتّب القرآن الكريم على هذه الحقيقة وجوب الحوار والتواصل والتعاون. في قوله تعالى: ﴿**يا أَيُّها النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم من ذَكَرٍ وأُنثَى وجعلْنَاكُمْ شُعُوبًا وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّه عليم خَبِيرٌ**﴾[7].

ويرشد إلى تقبل الناس بقوله: ﴿**أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ**﴾[8].

وهذا دليل على الحال الذي يصل إليه المسترشد مع الآخر إذا لم يتعاطى مع الآخر بأسلوب الحوار والتواصل الرحيم والمحبب.

ويلزم القرآن الكريم معتنقيه بالتعاون وتقديم الأحسن للآخرين في القول والفعل: ﴿**وتَعاونُواْ عَلَى الْبِرِ والتَّقْوى ولاَ تَعاونُواْ عَلَى الإِثْمِ والْعُدْوانِ**﴾[9]، وفي قوله تعالى: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[10].

---

[1]- سورة الملك، الآية ٢٢

[2]- سورة المطففين، الآية ١-٣.

[3]- سورة المائدة، الآية ٤٨.

[4]- سورة يونس، الآية ١٩.

[5]- سورة هود، الآية ١١٨

[6]- سورة الروم، الآية ٢٢.

[7]- سورة الحجرات، الآية ١٣.

[8]- سورة يونس، الآية ٩٩.

[9]- سورة المائدة، الآية ٢.

[10]- سورة فصلت، الآية ٣٤.

وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾[1].

الإمام أبا عبد الله (ع) يؤكد في وصيته لكميل بن زياد النجعي (ره) حفص بن البختري قال: "سمعت ابا عبد الله (عليه السلام) يقول: «حدثني أبي عن أبائه عليهم السلام: أن أمير المؤمنين (ع) تبذل ولا تشهر، ووارِ شخصك ولا تذكر، وتعلّم واعمل، واسكت تسلم، تسر الأبرار، وتغيظ الفجار ولا عليك إذا عرفك الله دينه أن لا تعرف الناس ولا يعرفونك[2]".

- مجالات الإرشاد النفسي:

يغطي الإرشاد النفسي مجالات عدة في الحياة منها:

أ- الإرشاد النفسي في المجال التربوي:

إن الإرشاد في المؤسسات التعليمية يسعى لتحقيق أهداف عملية وتعليمية ولتحقيق النمو السليم المتكامل لدى الطلبة، والمتأمل للمشاكل النفسية التي يعاني منها الطلبة يرصد أسباب ذلك بالصعوبات التي أفرزتها ضغوط الحياة المعاصرة إضافة إلى تدخل المؤثّرات التربوية على الطالب. وإن من أبرز أهداف الإرشاد التربوي هو توفير جو من الراحة والطمأنينة لجميع العاملين في المدرسة، من خلال تحديد وإدراك حاجات المعلمين والطلبة، ومتطلّبات نجاح العمل في المدرسة، ونجد أن القرآن الكريم أرشد إلى وسائل إخراج الطالب من حالته ليتمكن من التكيف مع زملائه ومدرسيه ويرتفع تحصيله الدراسي وفهمه لما يتعلّمه.

وهذا يساعد في فهم حاجات المسترشد الذي إن التزم بالإرشاد القرآني سيحصل الحقائق الآتية:

١- إن التزام المسترشد في المنهج التربوي الإسلامي المتكامل يقلل من حاجته إلى المنهج الإرشادي التربوي الوضعي.

٢- المنهج التربوي العلمي حاجة للمسترشدين إلاّ إنه يختلف من وجهة نظر إلى أخرى، ومن حالة إلى أخرى فحسب الحالة النفسية للمسترشد إلا أنه من الأمور اللازمة لكل مرء يحقّق إنسانيته بطلبه والازدياد منه كما في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾[3]. ﴿عِلْماً﴾[3]. لأن العلم يرشد الإنسان إلى اختيار الصلاح ويمنعه من الفساد.

---

[1]- سورة آل عمران، الآية ١٥٩.

[2]- رواها عن كتاب العدة في الحديث ٥٠ من الباب ٩ من البحار ٨٠١ س ٢٠ طالكمباني ونقلها مع زيادات جيدة مرسلة والباب ٢٥ من إرشاد القلوب ونقلها الشيخ المفيد (ره) في الاختصاص ٢٣٢، ط٢، ١٥- ٤٣.

[3]- سورة طه، الآية ١١٤.

٣- الابتعاد عن العنف: العمل على بثّ الأفكار وتحريكها بطريقة لينة تغير المشاعر والمشاعر تغير السلوك، وقد نهى الإسلام عن استخدام العنف والشدة مع الأفراد، بل أمر بالأخذ بالرفق واللين، قال تعالى:﴿**فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى**﴾[١]، وقال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ**﴾[٣].

ومن أساليب الإرشاد التربوي التي أشار إليها القرآن الكريم التأكيد على مبدأ التعارف وأهميته في إيجاد علاقات تقوم على المحبة والرحمة فأسهم في عملية الانصهار الاجتماعي الفكري ما يخلف مجتمعاً أخوياً ومتراحماً وتمثّل حقيقة المجتمع الإلهي:﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[٤].

وقول الله في الإرشاد والتربية يورث المحبة وتقبل النصح، وفي التركيز على معاني التكيف للطلبة الجدد نستفيد من القرآن الكريم في مبدأ التعارف ومعلوم ما للتعارف من آثار إيجابية في تحقيق التكيف، وأكد القرآن على مبدأ الأخوة فقال: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[٥].

ب- الإرشاد والتوجيه وظيفة إلهية رسالية:

إن القرآن يصف مهمة الإرشاد التربوي التي مارسها الأنبياء بالتزكية كما في قوله تعالى: ﴿**وَيُزَكِّيهِمْ**﴾[٦] وذلك في الجانب النفسي، أما في الجانب العلمي فهو مصدر الحكمة: ﴿**وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾[٧]، وقال تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ * وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ * وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ * يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ * وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ**

---

[١]- سورة طه، الآية ٤٤.
[٢]- سورة النحل، الآية ١٢٥.
[٣]- سورة آل عمران، ١٥٩.
[٤]- سورة الحجرات، الآية ١٠.
[٥]- سورة الحجرات، الآية ١٠.
[٦]- سورة البقرة، الآية ١٢٩.
[٧]- سورة البقرة، الآية ١٢٩.

مرحا إنَّ اللَّهَ لا يُحبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ * وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[1].

هذه الآيات والّتي تتضمن وصايا لقمان لابنه تمثّل مهجاً متكاملاً في الإرشاد والتربية في المراحل المختلفة وفي أبعادها المتعددة فهي وصايا إنسانية تواكب حركته وتقدم مسيرته في كل زمان ومكان.

ج- الإرشاد العملي في الإشارات القرآنية:

من الإرشادات القرآنية المهمة في عملية الإرشاد حثّ الإنسان على العمل ولم يكتفي فقط في الدعوة إلى العمل بل إلى أهمية وضوح رؤيته عند اختيار العمل والتدبير في شائعة وبيان ما سوف ينتهي إليه العمل بقوله تعالى: **﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾**[2]، من ثم يحدد الأوقات القيمة للعمل ومتى يتوقف عن العمل: **﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**[3]، كما أشار إلى إباحة العمل بالأصل وحلّه كل ما يؤخذ مقابل العمل: **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾**[4].

كما فصّلت الآيات شروط أداء كثير من الأعمال ومنها الوفاء بالعهود: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾**[5]، والصدق في المعاملة: **﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾**[6]، وقال تعالى: **﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**[7].

كما حثّت الآيات على التفاني والإخلاص في العمل إلى درجة إتقانه: **﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلا﴾**[8]، وهو الهدف الذي يسعى إليه الإرشاد المهني. فالأصل في العمل وغايته اتقانه.

لأن اتقان العمل وتحسينه سبباً في التطوير والتنمية والتي تعطي للإنسان الحق في التملّك والوراثة: **﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾**[9].

---

[1]- سورة لقمان، الآية ١٣-١٩.
[2]- سورة التوبة، الآية ١٥.
[3]- سورة الجمعة، الآية ١٠.
[4]- سورة الملك، الآية ١٥.
[5]- سورة المائدة، الآية ١.
[6]- سورة البقرة، الآية ١٧٧.
[7]- سورة الأنعام، الآية ١٥٢.
[8]- سورة الكهف، الآية ٣٠.
[9]- سورة الأعراف، الآية ١٢٨.

- **الإرشاد الأسري:**

من الموضوعات الإرشادية المهمة الخطيرة جداً، الإرشاد من عالم الأسرة؛ ويتضمن الإرشاد الزوجي (قبل الزواج) وإرشاد الوالدين، والأولاد، وواجب المرشد الأسري مساعدة الأسرة في حل مشاكلها بنفسها ولنفسها مثل: مشكلة الإدمان، اضطراب علاقات أفراد الأسرة وسوء التوافق الأسري، ومشكلات المرأة العاملة والتفكك الأسري.

ويبدأ الإرشاد مع الزوجين لأنه يؤكد على المودة والسكينة والاستقرار، وإشباع الغريزة بالحلال والرحمة والتعاطف والتولد والشفقة والتعاون والأخذ والعطاء، والطاعة والاحترام والمسؤولية والصدق.

- **صور ذلك كثير في الآيات القرآنية منها:**

قوله تعالى: ﴿**واللَّه جعل لكم من أنفسكم أزواجا**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا**﴾[3].

ففي هذه الآيات إرشاد إلى طبيعة العلاقة بين الأزواج في كل الحالات وبيان إلى ضرورة أن تكون أصالة العلاقة قائمة على المودة والرحمة وحسن المعاشرة، كذلك أشارت إلى كيفية معالجة المشاكل الزوجية بالحق والرحمة: ﴿**فإن طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا**﴾[4].

وقد شكلت المبادئ القرآنية مصدراً لإزالة أسباب التأزم في العلاقات بين أفراد الأسرة فأمرت المرأة بأن تقوم بواجبها على أكمل وجه، إذ أثبتت الدراسات أن كثيراً من المشاكل الأسرية سببها عدم مراعاة المرأة لمسؤوليتها، إضافة إلى خروجها المتكرر من البيت. أكثر الآيات دلالة على أهمية الإرشاد النفسي في المجال الأسري قوله تعالى: ﴿**واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا إن الله كان عليا كبيرا**﴾[5].

ف في هذه الآيات تحديد لآليات التعامل مع المشاكل الأسرية بطريقة إرشادية تراعي الظروف النفسية للزوجين.

---

[1]- سورة النحل، الآية ٧٢.
[2]- سورة الروم، الآية ٢١.
[3]- سورة النساء، الآية ١٩.
[4]- سورة النساء، الآية ٤.
[5]- سورة النساء، الآية ٣٤.

﴿وإنِ امرأةٌ خافَتْ من بعلها نُشوزاً أو إعْراضاً فلا جُناحَ عليهما أن يُصلحا بينهما صُلْحاً والصُّلْح خير﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فاتَّقُوا اللَّه وأَصلحوا ذات بينكم﴾[2].

في الشق الآخر من الإرشاد الأسري والذي يتعلّق بعلاقة الآباء بالأبناء وعلاقة الأبناء بالآباء وردت عدة آيات منها، قوله تعالى: ﴿واعبدوا اللَّه ولا تُشْركوا به شيئاً وبالْوالدين إحْساناً وبذي الْقُربى والْيتامى والْمساكين والْجار ذي الْقُربى والْجار الْجُنب والصَّاحب بالْجنب وابن السَّبيل وما ملكت أيمانُكم إنَّ اللَّه لا يُحبُّ من كان مختالاً فَخُوراً﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ولا تقْتلوا أَولادكم من إملاقٍ نَّحن نرزقُكم وإيَّاهم﴾، وقال تعالى: ﴿ولا تقْتلُوا أَولادكم خشْيةَ إملاقٍ نَّحن نرزقُهم وإيَّاكم﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وقَضى ربُّك ألاَّ تعْبدُوا إلاَّ إيَّاه وبالْوالدين إحْساناً إمَّا يبْلُغَنَّ عندك الْكبر أَحدُهما أَو كلاهُما فَلا تقُل لَّهُما أُفٍّ ولا تنْهرهما وقُل لَّهُما قَولاً كَريما * واخْفضْ لَهُما جَناح الذُّلِّ منَ الرَّحْمة وقُل رَّب ارحمهما كما ربَّياني صغيراً﴾[5]، وقال تعالى: ﴿قَد خَسر الَّذين قَتَلُوا أَولادهُم سفَها بغَيْر علْم﴾[6].

ويؤكد تعالى على فريضة الإرشاد الذي يصوب حركة المسترشد ويهديه إلى سبل الرشاد، بحيث ينقذه من عاقبة النار: ﴿يا أَيُّها الَّذين آمنُوا قُوا أَنفُسكُمْ وأَهْليكُمْ نَاراً وقُودُها النَّاسُ والْحجارةُ عَليْها ملائكَةٌ غلاظٌ شدادٌ لا يعصُون اللَّه ما أَمرهم ويفْعلُون ما يؤْمرون﴾[7]، وهنا يبينَ المنهج الوجدانيَ القيمَي الأَخلاقي في الإرشاد الأبوي للأبناء، بحيث يعتبر التخلّف والتفريط في هذا النوع من الإرشاد من الكبائر.: ﴿ولا تُلْقُوا بأَيْديكُم إلَى التَّهْلُكَة﴾[8]، وقوله تعالى: ﴿تَقْتُلُوا ﴿تَقْتُلُوا أَنفُسكُم إنَّ اللَّه كَان بكُم رحيما﴾[9].

الإرشاد النفسي وأساليبه في القرآن الكريم:

أولاً: مناهج الإرشاد النفسي:

يمثل الإرشاد النفسي إضافة إلى تقديم النصيحة والمشورة للمسترشد المنهج الأصيل في تقديم السلوك واستقامته والإرشاد لا يقوم إلاّ وفق المناهج التالية:

---

[1]- سورة النساء، الآية ١٢٨.
[2]- سورة النساء، الآية ٣٦.
[3]- سورة الأنعام، الآية ١٥١.
[4]- سورة الإسراء، الآية ٣١.
[5]- سورة الإسراء، الآية ٢٣-٢٤.
[6]- سورة الإنعام، الآية ١٤٠.
[7]- سورة التحريم، الآية ٦.
[8]- سورة البقرة، الآية ١٩٥.
[9]- سورة النساء، الآية ٢٩.

أ- المنهج النمائي:

يهدف هذا المنهج إلى مساعدة الأفراد في التخطيط لإحراز أقصى درجات المكاسب والفوائد من الخبرات التي يقومون بها والتي تمكّنهم من اكتشاف وتنمية إمكاناتهم وقدراتهم.

وقد تناولت الآيات القرآنية الأدوار التي مر بها الإنسان، ومنها قوله تعالى: **﴿ولَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾**[1]، وقوله تعالى: **﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾**[2]، وقوله تعالى: **﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ﴾**[4].

ومن عناصر النماء، تنمية الأولاد المسترشدين بداية عن طريق أمر الأمهات ببنائهم الجسدي بالإرضاع: **﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾**[5].

ب- المنهج الوقائي:

الوقاية خطوة يجب أن تسبق العلاج وتعمل على التقليل من الحاجة إليه، لذلك فإن هذا الدور يهتم بالأفراد الأسوياء والأصحاء الذين لا يعانون من مشكلات في التوافق حيث يعمل المرشد على التنبؤ أو توقع الصعوبات التي يمكن أن تحدث في المستقبل والعمل على منع حدوثها أو عاقتها.

فالآيات القرآنية ترشد إلى ضرورة تحصين من هم تحت رعاية المرشد مما يحول بينهم وبين أشكال الأمراض النفسية بل يسهم في تحقيق الأمن والطمأنينة للأفراد والمجتمع، وقد أسس القرآن الكريم أنماطاً لا بد من مراعاتها في عملية تهذيب النفس ومنعها من الانحراف ومنها:

---

[1]- سورة المؤمنون، الآية ١٢-١٦.
[2]- سورة النحل، الآية ٧٨.
[3]- سورة الأحقاف، الآية ١٥.
[4]- سورة ياسين، الآية ٦٨.
[5]- سورة البقرة، الآية ٢٣٣.

١- العقيدة:

إن العقيدة ذات تأثير كبير على حياة الإنسان، إذ تؤثر في سلوكه وطباعه، وتفكيره والعقيدة تحقق السعادة والانضباط عن طريق:

أولاً : خلق الرقابة الذاتية فالمؤمن بوجود الله تعالى يتعظ بأسمائه تعالى وصفاته دائماً فعندما يعتقد ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ**﴾[١]، وأنه تعالى: ﴿**فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى**﴾[٢]، و﴿**...إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[٣]، كل هذا يجعله صاحب رقابة على نفسه فيضبط غرائزه ويحرص في أقواله وأفعاله ويبتعد عن أي انحراف. كما أن إيمانه بالملائكة واليوم الآخر يحيي الرقابة في نفسه ويحول بينه وبين الانحراف.

ثانياً: تنمية الدافع إلى العمل الصالح، فالمؤمن كلما ازداد معرفةً بربه قرب منه فيكون دائم الصلة بربه يسعى لرضاه ويتبع أوامره ويتجنب نواهيه، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ**﴾[٤].

ثالثاً: إن العقيدة تروض النفس وتقهر نوازع الشهوة وتعمل على تكييفها في وسط الجماعة وبذلك يستقيم السلوك وينضبط.

رابعاً: إن الارتباط بإله عظيم يحقّق الراحة النفسية و يمنح الإنسان الهدوء والاطمئنان ويوفّر له العيش في أمان، وينزع من نفسه الهم والغم والأحزان والاضطراب والتشتّت والقلق، وقال تعالى: ﴿**من تبع هداي فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون**﴾[٥].

القرآن الكريم يعزز وينمي في النفس الإنسانية الحالة الدينية ويعصمها من الانحراف، ويمكّنها من التغلب على صعاب الحياة، ويفتح أمامها الأمل كلما واجه الفرد مشكلة في حياته فإنه يتغلب عليها.

٢- العبادات قاعدة إرشادية نفسية:

بينت الآيات القرآنية الكثيرة أثر العبادات في السير بالنفس نحو الاطمئنان، ووقاية الإنسان من الانحراف.

ففي الصلاة تتقوى صلّة العبد بربه، وتنقي سريرته وتغلب على شهواته بانشغاله بطاعة ربه، فيتجنب الفحشاء والمنكر، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾[١].

١- سورة آل عمران، الآية ٥
٢- سورة طه، الآية ٧.
٣- سورة الإسراء، الآية ١.
٤- سورة البقرة، الآية ١٦٥.
٥- سورة البقرة، الآية ٣٨.

وتعمق هذه العبادة الطمأنينة في النفس، قال تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**﴾[٢]، وأن ما يحدثه خشوع الصَلاة في النفس من سمو وترفع يظهر آثره في استقامة السلوك، قال تعالى: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ**﴾[٣].

ففي الصلاة يتلاقى الناس وبخاصة في صلاة الجماعة والجمعة حيث يتعرف المسلمون إلى أحوال بعضهم وهمومهم فيتقربون من بعضهم فتتبعد عنهم أسباب البغضاء والتناحر والحسد فيسود الأمن النفسي والاطمئنان وتظهر معاني المحبة والتعاون بين الأفراد، قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾[٤].

ومن عناصر النماء الزكاة، والتي تساعد في تطهير النفوس من البخل والشح والشعور بالإثم قال تعالى: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**﴾[٥].

فعدم أداء فريضة الزكاة يساهم في حرمان الكثير من حقهم، والحرمان يولّد الاضطرابات النفسية فإذا وجد الفقير حاجته أنقذ من الاضطّراب.

وفي الصوم : تربية على التقوى وترويض للنفس عن الشهوات و تدريباً لها على مقاومة كل نوازع الانحراف، ويغرس الصوم مراقبة الله، وقد ثبت ما للصوم من آثار نفسية إيجابية، يمكن أن يوجه المسترشد للاستفادة منها، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[٦].

وفي الحج: استمرار على الاستقامة والأدب الرفيع قال تعالى: ﴿**الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى**﴾[٧]. وإن لمشاهد الحج ومقدساته وتجمع ملايين المسلمين حافز قوي لتمسك المؤمن بالفضائل واجتناب كل أشكال الانحراف بسبب الرجوع لوجهة واحدة وسلوك الطريق التي أرشدهم إليها الخالق تعالى.

وفي معاملة المسلم مع غيره: فقد حثّ القرآن على غض البصر لحماية الإنسان من الوقوع في المعصية ففي قوله تعالى: ﴿**قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى**

---

[١]- سورة العنكبوت، الآية ٤٥.
[٢]- سورة الرعد، الآية ٢٨.
[٣]- سورة المؤمنون، الآية ١-٢.
[٤]- سورة الحجرات، الآية ١٠.
[٥]- سورة التوبة، الآية ١٠٣.
[٦]- سورة البقرة، الآية ١٨٣.
[٧]- سورة البقرة، الآية ١٩٧.

لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾[1]. كما أمر تعالى بالحشمة والستر قال تعالى: ﴿**ولا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى**﴾[2]. وقال تعالى: ﴿**يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ**﴾[3].

فقد أَسَسَ القرآن الكريم لمنهج وقائي يَحفظ الأفراد في أنفسهم ومع غيرهم، ففي كل خطوة من خطوات المنهج سد لذرائع الفساد: ﴿**وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**﴾[4]، وحفاظاً على شعور الإنسان والوقاية من كل أسباب الريبة والشك بين الناس. كما نهى القرآن الكريم على آفة التناجي بالإثم وأمر بالتقوى والرحمة: ﴿ **إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**﴾[5].

وتبع النهي بالأمر بالعفة على كل المستويات وأولها عفة الفرج لأنها تحمي من الفساد، حتى تيسير له أسباب الزواج: قال تعالى: ﴿**وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ**﴾[6]، وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾[7].

- المنهج العلاجي:

يهتم هذا المنهج بعلاج المشكلات أو الاضطرابات أو الأمراض النفسية التي تواجه الأفراد والجماعات حتى العودة إلى حالة التوافق والصحة النفسية، لذلك فهو يشمل مختلف الخدمات العلاجية الفردية أو الجماعية وبأساليب متنوعة من أجل إنهاء المشكلة التي يعاني منها المسترشد.

ويظهر المنهج العلاجي الذي مارسه القرآن لشفاء النفوس بأساليبه المتعددة ومنها:

١- **التحريم** : إن القرآن الكريم يعتمد على إثارة العاطفة الدينية في اجتناب المحرمات، والتحريم هو تدبير إلهي حكيم لتوجيه فاعلية الإنسان في رفعه القواعد من الحياة الإنسانية حيث أفرغه الله في تشريع آمر ملزم بالانتهاء، حماية للإنسان من نفسه، ورداً إلى سلامة فطرته، وتنمية لطاقاته وتمكيناً له من استثمارها على الوجه الأكمل، عوناً له على أداء تكاليفه الشاقة ووقاية للمجتمع البشري كلّه من أن يأخذ به الفساد إلى سوء

---

[1]- سورة النور، الآية ٣٠.
[2]- سورة الأحزاب، الآية ٣٣.
[3]- سورة الأحزاب، الآية ٥٩.
[4]- سورة البقرة، الآية ١٦٨.
[5]- سورة المجادلة، الآية ٩-١٠.
[6]- سورة النور، الآية ٣٣.
[7]- سورة المؤمنون، الآية ٥-٧.

المصير، كقوله تعالى: ﴿**حرَّم ربِّي الْفواحشَ ما ظَهرَ منْها وما بطَنَ**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**حرمتْ عليْكُم أُمَّهاتُكُم**﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿**حرمتْ عليْكُم الْميتةُ والدَّم ولَحم الْخنزيرِ**﴾[3].

ويظهر ما في التحريم من معالجة للنفوس، وحمايتها من الوقوع في الضرر والفساد والذي يؤدي إلى خراب المجتمع وهلاكه.

٢- **تشريع العقوبات:** إن جميع العقوبات التي نص عليها القرآن الكريم إنما تهدف إلى إصلاح الإنسان، وإزالة نوازع الهوى والشهوة من نفسه، والعقوبات في القرآن الكريم تقسم إلى قسمين:

أ- **العقوبات الأخروية؛** فتقوم على التحذير والإنذار والتهديد والوعيد والعذاب الأخروي، ولهذا أثر كبير في سلوك الإنسان ورادع له عن الانحراف من مثل قوله تعالى: ﴿**والَّذين ينقُضُون عهْد اللَّه منْ بعْد ميثَاقه ويقْطَعُون ما أَمر اللَّه به أَن يُوصل ويُفْسدُون في الأَرض أُولَئك لَهُم اللَّعنَةُ ولَهُم سوء الدَّارِ**﴾[4].

ففي ذكر جنهم (٧٧) آية مثل قوله تعالى: ﴿**ومن يقْتُل مؤْمنًا متَعمدا فَجزَاؤُه جهَنَّم خَالدًا فيها**﴾[5]، وفي ذكر النار وردت (١٢٦) مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذين يأْكُلُون أَموال الْيتَامى ظُلْما إِنَّما يأْكُلُون في بطُونهم نَارا**﴾[6].

وهذه العقوبات الأخروية إنما تضيق الخناق على كل من تسول له نفسه الانحراف أو اتباع أي سلوك غير سوي، وفي هذا علاج وأي علاج!.

ب- **العقوبات الدنيوية؛** فيشرع الإسلام أصول للعقوبات إلاّ أنها تنطوي على الرحمة وليس على التفريط في العقوبة والتدرج في العقوبة كما في معاقبة النساء حال الخوف من نشوزهن، قال تعالى: ﴿**واللَّاتي تَخَافُون نُشُوزَهُنَّ فَعظُوهُنَّ واهْجرُوهُنَّ في الْمضَاجعِ واضْربُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعنَكُم فَلا تَبغُوا علَيهنَّ سبيلًا إِنَّ اللَّه كان عليًّا كبيرا**﴾[7].

---

[1]- سورة الأعراف، الآية ٣٣.
[2]- سورة النساء، الآية ٢٣.
[3]- سورة المائدة، الآية ٣.
[4]- سورة الرعد، الآية ٢٥.
[5]- سورة النساء، الآية ٩٣.
[6]- سورة النساء، الآية ١٠.
[7]- سورة النساء، الآية ٣٤-٣٥.

- رادع نفسي:

وفي الجرائم الأخرى يحقّق القرآن الكريم الردع النفسي الهائل بضخامة العقوبة حتى منع أدنى تفكير بها، وتصبح رادعة وزاجرة في آن واحد قال تعالى: ﴿**إِنَّما جَزاءِ الَّذين يحاربون اللَّه ورسولَه ويسعون في الأَرْضِ فَسادًا أَن يقَتَّلوا أَوْ يصلَّبوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيديهِم وأَرجُلُهم من خلافٍ أَوْ ينفَوا من الأَرضِ ذَلك لَهم خزيٌ في الدُّنيا ولَهم في الآخرة عذَاب عظيم * إِلاَّ الَّذين تَابوا من قَبلِ أَن تَقْدروا عَلَيهِم فَاعلَموا أَنَّ اللَّه غَفُور رَّحيم**﴾[1]، وقال تعالى: ﴿**وَالسَّارِق والسَّارِقَةُ فَاقْطَعوا أَيديهما جزاء بما كَسبا نَكالاً من اللَّه واللَّه عزيز حكيم**﴾[2]، وقال تعالى: ﴿**وكَتَبنا عَلَيهِم فيها أَنَّ النَّفْس بالنَّفْس والْعين بالْعين والأَنف بالأَنف والأُذُن بالأُذُن والسِّنَّ بالسِّن والْجروح قصاص فَمن تصدَّق به فَهو كفَّارةٌ لَّه ومن لَّم يحكم بما أَنزل اللَّه فَأُولَئك هم الظَّالمون**﴾[3]، وقال تعالى: تعالى: ﴿ **يا أَيُّها الَّذين آمنُوا كُتب عَلَيكم الْقصاص في الْقَتْلَى الْحرُّ بالْحرِ والْعبد بالْعبد والأُنثَى بالأُنثَى فَمن عفي لَه من أَخيه شَيءٌ فَاتِّباعٌ بالْمعروف وأَداء إِلَيه بإِحسانٍ ذَلك تَخْفيف من رَّبِّكم ورحمةٌ فَمن اعتدَى بعد ذَلك فَله عذَاب أَليم * ولَكم في الْقصاص حياةٌ يا أُولي الأَلْباب لَعلَّكم تَتَّقُون**﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ **الزَّاني لا ينكح إِلاَّ زَانيةً أَو مشْركَةً والزَّانيةُ لا ينكحها إِلاَّ زَانٍ أَو أَو مشْركٌ وحرم ذَلك عَلَى الْمؤْمنين**﴾[5]، وقال تعالى: ﴿**والَّذين يرمون الْمحصنَات ثُمَّ لَم يأْتُوا بأَربعة شُهداء فَاجلدوهم ثَمانين جلْدَةً ولا تَقْبلُوا لَهم شَهادَةً أَبدًا وأُولَئك هم الْفَاسقُون**﴾[6].

٣- **التوبة** : لما للتوبة من آثار نفسية في تعديل سلوك الإنسان فقد رغب القرآن الكريم وحثّ على التوبة، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّه يحبُّ التَّوَّابين ويحبُّ الْمتَطَهِّرين**﴾[7]، وقال تعالى: ﴿**أَلَم يعلَموا أَنَّ اللَّه هُو يقْبلُ التَّوْبةَ عَن عباده ويأْخُذُ الصَّدقَات وأَنَّ اللَّه هو التَّوَّاب الرَّحيم**﴾[8]، وقال تعالى: ﴿ **غَافرِ الذَّنب وقَابلِ التَّوب شَديد الْعقَاب ذي الطَّوْلِ لا إِلَه إِلاَّ هو إِلَيه الْمصير**﴾[9]، وقال تعالى: ﴿ **وهو الَّذي يقْبلُ التَّوْبةَ عَن عباده ويعفُو عَنِ السَّيِّئَات ويعلَم ما تَفْعلُون**﴾[10]، وقال تعالى: ﴿ **يا أَيُّها الَّذين آمنُوا توبوا إِلَى اللَّه توبةً نَّصوحا عسَى ربُّكم أَن يكَفِّر عنكم سيِّئَاتكم**

---

[1]- سورة المائدة، الآية ٣٣-٣٤.
[2]- سورة المائدة، الآية ٣٨.
[3]- سورة المائدة، الآية ٤٥.
[4]- سورة البقرة، الآية ١٧٨-١٧٩.
[5]- سورة النور، الآية ٣.
[6]- سورة النور، الآية ٤.
[7]- سورة البقرة، الآية ٢٢٢.
[8]- سورة التوبة، الآية ١٠٤.
[9]- سورة غافر، الآية ٣.
[10]- سورة الشورى، الآية ٢٥.

وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي من تَحْتِهَا الأَنْهَارُ يوم لا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا معه نُورهم يسعى بين أَيديهِم وبِأَيمانهم يَقُولُون رَبَّنَا أَتْمم لَنَا نُورنَا واغْفر لَنَا إِنَّك عَلَى كُلّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾[1].

ورَغب القرآنَ الكريم بالاستغفارَ لإخراج النفسَ من الظلم وتحقيق الاطمئنان لها كقوله تعالى: **﴿واسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[2]، وقال تعالى: **﴿ومن يعمل سوءا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾**[3]، وقوله تعالى: **﴿فَاعْلَمواْ أَنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**[4]، وقوله وقوله تعالَى: **﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا﴾**[5]، وقوله تعالى: **﴿واسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾**[6]، وقوله تعالَى: **﴿قُلْ يا عبادي الَّذين أَسرفُوا عَلَى أَنفُسهِمْ لا تَقْنَطُوا من رَّحْمَة اللَّه إِنَّ اللَّهَ يَغْفرُ الذُّنُوبَ جَميعاً﴾**[7]، وقال تعالَى: **﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾**[8]، **الْمُتَطَهِّرِينَ﴾**[8]، وقال تعالى: **﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ من رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾**[9]، دعوة إلى عدم عدم اليأس وهذا الأمر مهم جداً للنفس وراحتها وصحتها.

وللتوبة النصوح[*] أثرها في علاج النفس البشرية مما ينتابها في فترات الضعف التي تغريها بالمعصية، فإن لم يتدارك الإنسان نفسه بالتوبة فإن المعصية الأولى تسهل له الطريق للمعصية الثانية، وإن الثانية تمهد للثالثة وهكذا وفي كل مرة تترك كل واحدة من هذه المعاصي نقطة سوداء على قلبه، فإذا ما كثرت المعاصي اتسعت دائرة الظلمة وأحاطت به الخطية من كل جانب، فيلاحقه الشقاء كيفما سار، ويغرقه الخسران في إحاطة الخطيئة **﴿بَلَى من كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ به خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾**[10]. لأن الذنب يحجز الروح.

كما أن للتوبة أثرها في إصلاح فساد الأسرة وفي تقويم ما أعوج من الأبناء وغيرهم، لأن أثر الصلاح والاستقامة يمتد من الرجل إلى أبنائه وأسرته، وبها يصلح ما فسد بينه وبين الناس، لأن من أصلح ما بينه وبين الله اصلح الله ما بينه وبين الناس، بل أن للتوبة والاستغفار آثاراً

---

[1]- سورة التحريم، الآية ٨.
[2]- سورة البقرة، الآية ١٩٩.
[3]- سورة النساء، الآية ١١٠.
[4]- سورة المائدة، الآية ٣٤.
[5]- سورة نوح، الآية ١٠.
[6]- سورة الممتحنة، الآية ١٢.
[7]- سورة الزمر، الآية ٥٣.
[8]- سورة البقرة، الآية ٢٢٢.
[9]- سورة يوسف، الآية ٨٧.

[*] - التوبة النصوح: أعلى درجات التوبة ومعناها الإخلاص لله، تصرف صاحبها عن المعصية: نصحت له الودّ أي أخلصته، الراغب الأصفهاني- مفردات ألفاظ القرآن، ص ٨٠٨، مادة نصح تحقيق صفوان عدنان داوودي، الناشر طليعة النور، مطبعة سليمان زادة، ط٢، ١٤٢٧ هـ.

[10]- سورة البقرة، الآية ٨١.

بعيدة في الدنيا والآخرة وزيادة للقوة قال تعالى: ﴿**ويا قَومِ استَغفِروا رَبَّكُم ثُمَّ توبُوا إِلَيهِ يُرسِلِ السَّماء عَلَيكُم مِدرارا ويزِدكُم قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُم ولا تتولَّوا مجرِمين**﴾[1].

- مقارنة بين التوبة والتحليل النفسي:

إن معنى التوبة هو صحوة النفس البشرية بعد غفوة، وبعد ارتكاب المخالفة وتعود النفس كأنها ولدت من جديد وهي تسمو على ما هو شائع لدى علماء النفس من نظام الاعتراف والتحليل النفسي، لأنه بشر وتلك التوبة لا تصلحه أمام البشر، فلا يزول الشعور بالإثم بينما أمام الله يجتث الشعور بالإثم من جذوره، أما في التحليل النفسي لا يستطيع المحلّل أكثر من التهوين من شأن الذنب والتحايل على عقد معاهدة صلح بين جوانب النفس المتصارعة ومعاهدة كهذه لا يستطيع تنفيذها أحد طرفيها أو كلاهما لا يقدر لها سلامة المقصد ونجاح المسعى.

وعليه فإن دور المحلّل النفسي هو تفسير الحالة فقط، لأنه يتبع حياة «الفرد» وفق ما يقدم من معلومات ثم يأخذ في الربط بين الوقائع والأحداث حتى يصل إليه بمعطياته الذاتية ثم يحاول معالجته وفق تفسيره الخاص.

- أساليب الإرشاد النفسي والتربوي الميدانيّة والعمليّة المتّبعة:

هنالك العديد من الإجراءات الإرشادية التي تستخدم لتحقيق أهداف الإرشاد رأينا أقربها إلى منهج القرآن الكريم ما يلي:

أ- تقليل الحساسية التدريجي:

لقد استخدم هذا الإجراء في البداية وبشكل كبير لعلاج المخاوف المرضية وتتألف خطواته من الآتي:

١- إعداد مخرج للقلق.

٢- التدريب على الاسترخاء.

٣- مرحلة التخيل.

يقابل القلق بكل المواقف التي تثيره بالاسترخاء لما يحققه من هدوء نفسي يثّبط استجابات القلق ويظهر أثر الصلاة البارز والذي لا ينتهي بمجرد انتهاء الصلاة بل يحقق هدواً نفسياً لفترة أطول.

ولذا دعا القرآن إلى الاستعانة بها فقال تعالى: ﴿**واستَعينُوا بالصَّبرِ والصَّلاة وإِنَّها لَكَبيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشعينَ**﴾[1]، وكان سيدنا محمد (ﷺ) إذا أحزنه أمر صَلى وكان يقول: «أرحنا يا بلال».

---

[1]- سورة هود، الآية ٥٢.

ب – توكيد الذات والرضى عن النّفس:

في هذا الإجراء يشجع المرشد المسترشد من خلال إعادة البناء المعرفي والتأكيد على عقلانية أفكاره ومخاوفه، بالتالي تدعيم دور المسترشد في الإلحاح على التعبير عن أفكاره ومشاعره وآرائه من خلال تأكيده لذاته.

ج– طريقة التفريغ للوصول إلى الراحة النفسية:

وتشتمل طريقة توكيد الذات على ستة أنواع رئيسية هي: التحدث عن المشاعر باستخدام تعابير الوجه، ومواجهة الآخرين، واستخدام ضمير المتكلم بدلاً من ضمير الغائب عند التحدث، والتعبير عن موافقته وتأكيده في حال اقتناعه برأي الآخرين وممارسة الإرتجال في الحديث لأن العلم يؤخذ ولا يعطى[٢].

---

[١]- سورة البقرة، الآية ٤٥.

[٢]- العيسوي، د. عبد الرحمن، علم النفس الإسلامي الأسري (المشكلات والبرامج الإرشادية) دار إسامة، عمان، ط١، سنة ٢٠٠٤م.

خاتمة:

- الإرشاد التربوي النفسي من العلوم التي ارتبطت ارتباطاً عضوياً بحركة المجتمعات الإنسانية في عملية تقدمها وتطورها، وهو من العلوم الرئيسية في سائر المجتمعات يسير وفق المعتقدات والأصول إلا أنه علم مهم جدا ومفيد ولكن لا زالت بعض معارفه غير واضحة، والدراسات حوله كثيرة منها المفيد ومنها الغير مفيد.
- وبما أن حاجة الإنسان للتكامل هي حاجةٌ ملحَّة وتمثل الهدف الأساسي من الخلق كان لا بد للإنسان من أن يوجد حلولاً عمليَّة مرنة بشرط أن تعتمد أُسسا قطعية الصدور، غنيَّة وواسعة وشاملة لكل الحالات والأزمنة حتى تكون دستورا كاملاً متكاملاً يبنى على أساسه صروح من العلم والمعرفة.
- من هنا فإن ما تزخر به الآيات القرآنية المباركة يعدُّ انطلاقة جيداً للكثير من القواعد التربويَّة والإرشاديَّة، وهذا بحد ذاته يعطي فرصا للإنسان فينطلق في حركته الاستخلافية آمناً مطمئناً.
- فالقرآن الكريم خطابه موجه للإنسانيَّة ومحاكياً للفطرة وللنفس التي تختار الخير والفلاح لها.
- حيث تتدرج آياته من بدء التكوين والخلق حتى التكاليف بكل مراحل النفس... ثم الدلالة على عظمة الخالق المحسن فبعثته الرسالات والتعاليم السماويّة ثم إلى طرق الشّفاء النفسي من المعاصي فهو علاج المشكلات ويمثّل منظومة متكاملة تجمع بين حاجات الإنسان النفسية والكونية وذلك من خلال آيات القرآن المنسقّة التي تفتح الطرق أمام أي مرشد أو مربٍي كي ينطلق من قواعد وأسس سليمة.
- أخذت تربية الفرد حيزاً كبيرا في مختلف مجالات العلوم الإنسانيَّة، بحيث حاول كل علم مقاربتها بأسلوبه الخاص، بوسائله، نظرياته، معطياته، ولا يزال الجدل العلمي في التربية قائما وفيه الكثير من الآراء التي تختلف في الأساليب ولكن تلتقي في الهدف.
- إلا أن ما تواجهه المجتمعات في حال المربين وهم يتألّمون و يعيشون حالة التّيه لا يعرفون كيفيَّة معالجة أو مقاربة الأمور التربوية أو التوصل إلى حلول عمليَّة تعالج مشكلاتهم مع المتربين.

لهذا، وبعد الاطلاع على الكثير لا بد من التزام أمور أهمها: الصبر هو العامود والركيزة الأولى في تربية الفرد والتحلّي بالحكمة، أي تحصيل ثقافة تربويَّة لكل مسؤول عن تربية الأفراد كي لا يقع في أخطاء من الصَّعب إزالتها من قلب الحدث...

العاطفة والعقل يشكلان ركيزتين أساسيتين في بناء الإنسان من الناحية النفسية والسلوكية ولهما الدور الأساس في التأثير في سلوك الإنسان وتصرفاته سواء الجيدة منها أو السيئة السوية أو غير السوية.

فيكونان حاضرين في المواقف ويشتركان في التأثير مع وجود صراع بينهما في بعض الأحيان (نسميه مجاهدة نفسية).

يعيش الإنسان صراعاً داخلياً بين عقله وعاطفته، وغالباً ما ينتج عن هذا الصراع قرارات مصيرية قد تؤدي به إما إلى الانتصار أو إلى الفشل والهزيمة وهنا يظهر دور كل من العقل والعاطفة في تحديد نتيجة هذا الصراع.

فالدماغ البشري يخوض نزاعاً دائماً بين مركز العاطفة ومركز التفكير ويتنافسان للتحكم بالسلوك.

فالعمل على الأفكار يغير المشاعر والمشاعر تعدل سلوك الإنسان.

توصيات:

- تهيئة المنزل الآمن والذي يمثل المملكة الصغيرة في بنيانها لكن قوية في ثمارها تنبت الخير إذا سقيناها خيرا وصبرا ووعيا...
- لهذا يجب أن يكون المربي المهتم بتنشئة الإنسان حاكما بالحب لا بالقوة، حازما مع ترك فرص للتصحيح، محاسبا مع وجود قواعد واضحة في الأسرة أو المدرسة أو... حتى يستطيع بعد ذلك المحاسبة، لأنه يمتلك قوة مع وعي ما يجعله يحافظ على الاستقرار النفسي عند المسترشدين فيتمكن من مواجهة أي أمر مهما كان صعباً.
- الكثير من المربين يمارسون الوجود اللحظي ذلك أن الوجود اللحظي الاصطلاحي وليس الفعلي أي لا يكون لهم وجود إلاّ وقت المحاسبة، وهذا خطر جداً.
- من أهم أساليب الوجود الفعلي هو الاستماع لمشاكل الفرد أو الابن بحسب دور المربي تجاه المتربي، فالاستماع يعطي فرصةً للتعبير عمَّا يجول في خاطر الفرد من ثم يغدق عليه المربي الاهتمام والعطف والنصح فتنشأ علاقة حميمة بين المربي والمتربي تساعد في عملية تعديل أي سلوك غير سوي.
- استخدام طريقة النصح لا تكون بكثرة العبارات بل عن طريق الودّ والإشارات والإيحاءات، و ببيان الموقف والمناقشة في إيجاد الحلول كي يختار المتربي الحل المناسب له، ما يجعله يتحمل مسؤولية اختياره لأنه شارك فيه.
- أسلوب الترغيب والترهيب بحسب وضع المتربي وخطأه، إلاّ أن أسلوب النصح بالتوعية هو أفضل أنواع النصح التي تمكن المتربي من فهم الخطأ ومعالجته.

- إنَّ المربِي، أي الفرد، لديه أداة هامَّة وخطيرة وهي القياس العقلي فيقيس كل الأوامر والنَّواهي على حياتك وحياته... (مثلاً: في إحدى المرات أقلع أستاذ عن التدخين بسبب تلميذه لأنه عندما نهاه قال له أستاذ حضرتك مدخن. فقال له: من الآن وصاعدا تركت التدخين).
- أي أن المرشد يجب أن يردع نفسه عن أي فعل قبيح قبل أن يبدأ بالمسترشد كي يؤثّر به بكل إرشاداته، حتى لا تتناقض فيتناقض النصح مع موقف النَّاصح (أب، أم، معلّم، عالم...).
- الإفاضة على المتربي بالحب والحنان لأن الإنسان في كلّ مراحل حياته بحاجة شديدة للعطف والحنان والحب، وتمتد هذه الحاجة من الولادة وحتى الممات.
- وقد أظهرت الدراسات والتجارب أنَّ الإنسان كلما عاش في حياة مليئة بالمحبّة في طفولته كان ذلك أدعى إلى استقراره النفسي في كل مراحل الحياة.

من التوصيات التي يستفاد منها من خلال الإرشاد التربوي القرآني ضرورة مراعاة الأمور التالية؟

١. المساواة بين الأفراد وهذا مطلب مهم لكل متربي.
٢. مراعاة الفروق الفردية وعدم رسم معايير مزدوجة.
٣. القبول بالطفل بكل ما لديه من تنمية قدراته بحسب استعداداته الداخلية وظروفه البيئية.
٤. الترغيب باللين مع بيان سبب رفض أي من الأمور التي يرغب بها المتربي وتتناقض هذه الرغبات مع وضعه وإمكاناته رفض لأمور يرغب فيها.
٥. تبادل الثّقة في العملية التربوية مهم جداً ولا يحصل إلاّ بالصبر والهدوء والحب والتوكّل على الله مع السعي لتحصيل كم أكبر من المعلومات حول الثقافة التربوية والأسرية التي تخدم عالم الإرشاد والنصح...
٦. التركيز على الغذاء العاطفي لأنه مهم جدا فكثرة الاحتضان من قبل الأهل للمتربي والتعبير اللفظي عن المحبَّة والتقدير، كله ينمي ثقة المربِي ويرسم طريقاً مفتوحا أمام المربِي المرشد كي ينجح في هذا التكليف الصعب.
٧. الغذاء العاطفي لا يعني الدلال المفرط غير المدروس فهو عبثي ومدمر...
٨. الاهتمام بكيفية إمضاء الوقت لا الكميَّة، فالبعض حاضر طوال الوقت لكنه غائب والعكس صحيح.
٩. الالتفات للتربية الصامتة لأن المتربي يلاحظ بصمت ويشعر ويعرف ومعرض للمشكلات النفسية والكآبة وغيرها، فقد ينشأ فردا لا يستطيع أن يحب أحداً مثلاً (عدائيا) أو (عدوانيًّا) أو (انطوائيًّا)...

توقعات لدراسات مستقبليةُ Expectations of Future studies:

- العاطفة هي العنصر المؤثر الأول في الرسائل الموجهة من الإعلام للفضاء العام وللأسرة والمجتمع ككل.
- كيف نوازي بين العقل والعاطفة لتنتج سلوكاً سوياً متوازناً.
- أثر العاطفة في الاستقرار النفسي.
- كيف اهذب عاطفتي لتصدر سلوكاً صحياً متوازناً.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم.
٢. إبن مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب، الإنسان والكمال في فكر مسكويه/ مؤسسة العلوم النفسية العربية، ط١، ٢٠١٥، لجنة البحث والدراسة في التراث النفسي، العدد ١٣.
٣. إبن مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق/ هذه النسخة تعود للمحرر المصري عبد العليم صالح وقد أهدى المحرر العمل إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني والحاكم المصري عباس حلمي باشا سنة ١٨٧٤-١٩٤٤ البلاط المصري.
٤. أحمد عبدالله، بناء الأسرة الفاصلة، دار البيان العربي، بيروت، لا. ط.، ١٤٠هـ، ١٩٩٠م.
٥. بركات، أكرم، كيف تجعل ولده صالحا؟ دار الولاء، بيروت، ط٣، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٦. حمودي، غدير، دروس في فقه نظام الأسرة على ضوء القرآن الكريم، مراجعة: محمد آل عبد الرسول.
٧. سمعان عبد الحليم، علم النفس الفيزيولوجي، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت، لا. ط.، لا. ت.
٨. الشيرازي، ناصر مكارم، مختصر الأمثل في تفسير كتاب الدر الأمثل، ج٤، دار جواد الأئمة، بيروت، ط١، ١٤٢٨ هـ، ٢٠٠٧م.
٩. طليس، نوال الحاج دياب، حلول عملية للمشكلات اليومية في رياض الأطفال، دار الهادي، بيروت، ط١، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧م.
١٠. عاشور، علي، تربية الجنين في رحم أمه، منشورات الفجر - بيروت، ط١، ١٤٣١ هـ-٢٠١٠م.
١١. عاقوري، يوسف، التشخيص النفسي (رسومات وتحليل)، مركز ديو ليبانون، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.
١٢. عاقوري، يوسف، نظرِيَّات الشخصيَّة، مطبوعات الجامعة اللبنانيَّة، بيروت، ط١، ٢٠١٤م.
١٣. العيسوي، عبد الرحمن (المشكلات والبرامج الإرشاديَّة)، دار أسامة، عمان، ط١، ٢٠٠٤م.
١٤. الغرابي، جاسم محمد علي، مباحث في علوم القرآن، منشورات جامعة الكوفة - العراق، ٢٠١٨م.
١٥. الكاظمي، حبيب، نحو أسرة سعيدة، دار الولاء، بيروت، ط١، ١٤٣٤ هـ-٢٠١٢م.
١٦. النراقي، محمد مهدي، جامع السعادات ج١ و٢، دار نشر إسماعيليان، ط١، ١٤٢٨ هـ.

١٧. نظام الأسرة في الإسلام، منشورات معهد سيدة نساء العالمين، بيروت، مجموعة باحثين.
١٨. يوسف، علي، خلاصات معرفية وتوجيهات تربويَّة، مدير إعداد وتأصيل، إصدار ٢٠٠٤، الإدارة العامة (مدارس المهدي، بيروت).
١٩. يونس، جانيت، الإدارة ا لنفسية للأطفال، منشورات ميشال أبو جودة، بيروت، ط١، ٢٠٠٦م.

مصادر معربة:

١. آن فرنون، التربية والسلوك الاجتماعي والشّعوري العاطفي (المنهج التربوي للمراهقين) ترجمة سمعان جبور، دار قابس، بيروت، لا. ط.، لا. ت.
٢. شيفر شارلز وميلمان هوارد، مشكلات الأطفال والمراهقين وأساليب المساعدة، ترجمة داوود نسيمة وحمدي نزيه، الأردن، ط٢، ١٩٩٦.
٣. فرنون آن، المنهج التربوي العاطفي للأطفال، ترجمعة سمعان جبور، دار قابس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، المستوى ١-٦، لا.ط.، لا. ت.
٤. فضل الدر، محمد رضى، المعلّم والتربية، دار أجيال المصطفى، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.
٥. فولر، أندرو، ولدي صعب مَاذا أفعل؟ ترجمة أمال الأتات، دار الفراشة، بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
٦. ماكس جاري ودون دنكيمير، دليل الآباء (التدريب المنتظم للتربية الفعالة)، ترجمة الصويغ سهام، دار الكتاب التربوي للنشر والتوزيع، الدمام – السعودية، ط١.
٧. مركز نون للتأليف والترجمة، التدريس طرائق واستراتيجيَّات، جمعيَّة المعارف الإسلاميَّة الثقافيَّة، بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
٨. هامبلتون، ديفيد، أنا أحب ذاتي (علم وفن محبة التراث)، ترجمة: محمد ياسر حسكي ولينا الزيبق، دار الخيال، بيروت، ط١، ٢٠١٦، ط٣، ٢٠١٨.
٩. الوردي، علي، خوارق اللاّشعور (الأسرار الشخصية الناجحة)، دار الوراق، بيروت، ط٦، ٢٠١٨م.

مواقع إلكترونية:

١. زيارة موقع إلكتروني على الانترنت بتاريخ ٢٠١٩/١/٥ ، موقع مجلّة دراسات نفسيّة تربويَّة، التفاؤل والتشاؤم وتأثيره على حياة المراهق والطفل، نبيلة بو عافية، رقم البحث ٨، ص ٢٩٩-٢٨٤.

دراسات:

١. دراسات ميدانية شبه دورية، مدارس في محافظة البقاع زحلة، من خلال عملي كمستشارة ومرشدة تربوية نفسية منذ أكثر من ١٥ عاما.